الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة *تلمسان *

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

2013
Fac11102244

المرجعية الإسلامية في الفكر الحضاري عند مالك بن النبي

من إعداد الطالبتين:

- عثماني خديجة
- بومدين دليلة

تحت إشراف الدكتور:

أ.د أحمد دكار

السنة الجامعية: 2011-2012

TAS. 200.22
٥١

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ربي يسر و لا تعسر و ربي زدني علما

اللهم احفظ ألسننا من فضول الباطل ،و اغسل قلوبنا و عقولنا من غباوة الجهالة ،و خطر الضلالة ،و من ترك مخافتك و من العَجب المتلف ،من التكلف في العمل ،و اجعلنا من الراشدين

اللهم آمين

صل اللهم على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين مصابيح الهدى و قدوة الأمة إلى يوم الدين.

شكر وعرفان

إن خير فاتحة نفتتح بها رسالتنا هذه هي الحمد لله والشكر لله ،باسط العلم وفاتح الخير الذي أعز العباد وأكرمهم بعمله الوافر نشكره تعالى على نعمته التي لا تنتهي ونحمده على ما وهبنا التوفيق والسداد، وعلى ما منحنا من الرشد والثبات وعلى إعانته لنا على إنهاء هذا العمل المتواضع.

فلله الحمد حمد الشاكرين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيد الخلق محمد الأمين عليه الصلاة والسلام .

وإذا كان من الفضل شكر ذويه، فإننا نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الصادق لأستاذ الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد دكار على توجيهاته الصائبة ونصائحه القيمة ومساعداته العظيمة لإخراج هذا البحث إلى نور الوجود.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتنا ومعلمينا الذين كانوا عونا لنا.

كما نشكر لجنة المناقشة على تجشمهم أعباء قراءة رسالتنا هذه لتقويمها وإثرائها بنقدهم البناء وتوجيهاتهم العلمية القيمة.

ولله الحمد والشكر.

إهداء

إليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى من لهما الفضل بعد الله إلى الغالية هبة السلطان ومنة الرحمن منبع الحنان ورمز الوفاء والإخلاص إلى التي سقتني من رضاها وأنارت دربي وأضاءت حياتي إليك يا أغلى من في الوجود أمي الحبيبة.

إلى أبي المعين الذي لا ينضب حبا وعطاء ودعاء إلى من تولاني بالرعاية والعناية منذ الصغر إلى من تعهدني بحسن التربية والتعليم إلى قدوتي في التحدي والطموح أبي الكريم.

إلى الذي كان لي رمز الكفاح والعطاء إلى من وقف جنبي وقت السراء والضراء فكان المرشد والدليل والقمر المضيء أخي الحبيب خالد.

إلى من شجعتني للوصول إلى ما أنا عليه وأدتني بقوة المكافحة في الحياة إلى أختي الرائعة شهرزاد في يوم عقد قرانك المبارك فإذن الله.

إلى من أكن لهم الحب والاحترام زوج أختي فتحي.

إلى حبيب قلبي الغالي ونور البيت أخي الصغير سيد احمد.

إلى حاملة راية الخير والحب ومشعل النجاح المتألقة الفيلسوفة محجوبة.

إلى كل من جمعتني بهم أخوة الإسلام فكانوا نعم الأخوات: فاطمة، زهية، هند، صورية، لويزة،لطيفة، فضيلة، أسمى خاصة الرائعة زهرة هادف.

إلى رفيقات دربي في مساري الدراسي: سميرة، فتيحة، هجيرة، دليلة، فضيلة، فرح، أمينة، زهية، زوليخة، خديجة، عدالة بشير، محمد نقاش، براكو ،فؤاد.

إلى أولاد خالي عابد:هاجر،أمينة،سمية،الكتكوتة إبتهال،محمد أمين .وأمهم صابرية.

إلى أولاد خالي أحمد:أختي المتميزة نورة،شعبان ،إسماعيل،محمد،أمين ،أحلام،فريال وأمهم زهرة.

إلى روح جدي الطاهرة رحمة الله ،إلى جدتي حفضها الله وعماتي و أعمامي خاصة العم لأصغر عمار.

إلى عائلتي الثانية ،عائلة بلمقدم بلقاسم ،و الحاجة خديجة.

إلى أولاد خالتي كل بإسمه .

إلى كل من نساهم القلم ولم ينساهم القلب.

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي.

خديجة عماني.

إهداء

إليك يا رسول الله معنى البحر المتدفق في القلب

إلى حماة المسجد الأقصى وأرواح شهداءهم هناك في فلسطين الجريحة.

إلى منبع الحياء ورمز الوفاء والإخلاص إلى التي ساقتني من رضاها

إليك يا أغلى من في الوجود أمي الحبيبة

إلى الذي رسم لي مستقبل الحياة وتحمل من أجلي المشاق

إلى رمز النصيحة والإخلاص إلى الحب الملائكي الذي أمدني بقوة المكافحة في الحياة إلى من علمني محاسن الأخلاق عبر الزمان

إليك حبيب قلبي أبي الغالي الذي أدعو الله ليل نهار أن يطيل في عمره ويبقيه لؤلؤ حياتي.

إلى جواهر البيت أخواتي وأزواجهم محجوبة،نصيرة، كريمة، حبيبة،

غلى نور البيت أخي العزيز وزوجته نصيرة.

إلى براعم البيت: أبناء أختي وأخي: محمد أنس، أحمد ياسر، عابد البشير ومحمد إلياس وسيرين .

إلى خالاتي و خالي،و عماتي وأعمامي،إلى من وقف جنبي وقت السراء والضراء فكان المرشد والدليل والقمر المضيء إليك يا جمال.

إلى الأصدقاء والصديقات:عدالة البشير، محمد نقاش، براكو عبد القادر، سميرة، خديجة، فضيلة، فاطمة، هجيرة، مريم، فتيحة ،زهية،زوليخة،أمينة،فراح،صورية،سارة،هند،لطيفة،لويزة

،وخاصة زهرة هادف.

إلى من نساهم القلم ولم ينساهم القلب

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

دليلة بومدين

مقدمة

مقدمة:

لعب الفكر الإسلامي دورا هاما في حياة الإنسان منذ أن خلق بل إنه كان السبب الذي تغيرت به حياته فأول عملية هامة وأخطر حركة نمت في الوجود كانت نتيجة فكره وعليه إن هذا الفكر نشأ في حضانة الدعوة الإسلامية وجذوره مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية فكانت قواعد الإسلامية قد بدأت ونمت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فظلت في قيمتها الأساسية كما جاء بها الوحي.

فمما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفكر الإسلامي هو أن نجد المفكر الإسلامي مالك بن نبي أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها التجديد ولعل ثمرة هذا الفكر أن تتلاقح الأفكار سواء على مستوى الجماعات الإسلامية أو على مستوى الأفراد والمؤسسات الرسمية. وهذا ما أشار إليه مالك بن نبي في رصيده الفكري، حيث كرس حياته كلها لخدمة الإسلام والمسلمين لإعادة تشكيل العقل المسلم تشكيلا إسلاميا صحيحا يجنب المسلمين شر الوقوع في أحضان الفكر العربي.

لطالما بقي المجتمع الإسلامي عاجزا عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسجم مع عقيدته ودوافعه، فهذا يعني أن المجتمع ما زال يعاني من التبعية والتخلف ولم ترق أفكاره بعد إلى درجة الاستقلال والتحرر الشاملين، فهو الذي يشكل خطرا على حاضر ومستقبل المسلمين في نظر المفكرين، لأن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكن على أية حالة أن يصنع المنتجات الضرورية، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشيد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو السلطة عليه من الخارج، لذا فعلينا أن نكتسب خبرتنا أي أن نحدد موضوعات تأملنا وكذا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار .

وهكذا تلعب الشعوب دورا وكل واحد منها يبعث ليكون حلقته في سلسلة الحضارة معلنة قيام حضارة جديدة ومؤذنة بزوال أخرى.

وعليه نطرح الإشكالية التالية: ما دور الفكرة الدينية في يناء الحضارة عند مالك بن نبي ؟وكيف ساهم الإصلاح في رسم الحضارة عند مالك بن نبي ؟.

وقد وقع اختيارنا على هذا المفكرلأهميته وحداثته لأنه مفكر عاش وحاضر المشاكل والأحداث المعاصرة فكان اسمه الفكري ميتا عليها وسيتضح اختيارنا لهذا الموضوع من خلال اهتمامنا بتحريك الإنسان المسلم الذي يمثل إلينا جوهر الحضارة وعمودها الرئيسي.

الأهمية البالغة لمعرفة ما تمتاز به الفكرة الدينية وعلاقتها بالواقع الملموس.

مقولة مالك بن نبي التي طبعت في ذاكرتنا منذ سنوات " إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع دروبا سبق السير فيها، وإنما يفتح دروبا جديدة.

وفيما يختص بتصميم البحث فإنه اشتمل إضافة إلى هذه المقدمة على مدخل وثلاثة فصول إما المدخل تناولنا فيه ترجمة لحياة مالك بن نبي وكذا مفهوم الدين أما الفصول فكان الأول منها حول الفكر الإسلامي وخصائصه وضم أربعة مباحث: مدخل إلى الفكر الإسلامي، مصادره، خصائصه، تحدياته.

وكان الفصل الثاني حول مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي ودور الفكرة الدينية في بنائها وتفرغ بدوره على خمسة مباحث: مفهوم الحضارة الدورة الحضارية وأطوارها، البناء الحضاري، عناصر الحضارة ودور الفكرة الدينية.

أما فيما يخص الفصل الأخير من البحث وهو الثالث على الترتيب الإصلاح الديني الحضاري عند مالك بن نبي وضم أربعة مباحث:

النظرية النفسية الحضارية، النظرية الاجتماعية الحضارية، النظرية المعمارية الحضارية، دور المسلم في الإصلاح والتجديد الحضاري وخاتمة العرض أهم نتائج البحث.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فكانت متعددة ومتنوعة فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، شروط النهضة، ميلاد المجتمع فمالك بن نبي قضايا الفكر للدكتور ترابي، دين وفكر لعبد الرزاق نوفل.

ولعل المنهج المناسب لموضوعنا هذا هو منهج تاريخي استقرائي بحسب ما تقتضيه طبيعة هذا البحث فإن وفقنا في بعضه فبفضل الله ومعونته وإن أخطأنا فنسأل الله ألا يحرمنا أجر المجتهد المخطئ والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل الحمد لله رب العالمين هي محاولة للبذر نرجو أن تكون الغلة صالحة والله وسلي التوفيق.

جوان 2012

مدخل

تكشف دراسة الحضارات الإنسانية عن الدور الجوهري الذي قام به الدين في بنائها، فقد أصاب دارسوا الحضارات رأوا أنه لم تنبثق حتى الآن حضارة من غير أن يجمعها الدين، ويوحد مجتمعها ،فهو دائما كان الرابطة العليا التي تلتقي فيها نوازع الأفراد فتشدهم وتوحد تطلعاتهم وطموحاتهم، تنظم سلوكهم، ومن ناحية أخرى تؤمن لهم وحدة الصمود والوقوف أمام التحديات الخارجية التي تواجه الحضارة "ذلك أن الدين عند تمكنه في المجتمع يشكل من ذاته هدفية عليا تحقق الحضارات المختلفة من خلالها جل تطلعاتها،وتعبرعن حسها في الإنجاز والإبداع الحضاري،كما بدت الحالة دائما في المسيرة الإنسانية الحضارية[1].

الذي يتأمل تاريخ الحضارة، سرعان ما يكتشف أن الفكرة الدينية ساهمت في صنع الحضارات بقدر كبير" فتقدم الإنسان كان يتم وفق عملية متوازنة بين نتائج العقل وإمكانياته ،وبين عطاء الإيمان الذي يمثل شحنات الدفع في مسيرة الإنسان الحضارية، وتاريخ الحضارة يشهدنا على أن الإنسان ما فتئ يمد ببصره نحو ما وراء الحقيقة الأرضية، وتجاوز الحقائق الملموسة ذلك أن الرؤيا العقلية الخالصة تمثل نظرة أحادية الجانب لم تحقق للإنسان تطلعاته صوب الحقيقة الايمانية[2].

فالنزعة الدينية في الإنسان، والتي تكون قد أخذت طريقها الى خارج نفسه هي التعبير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة عبر القرون.

هذه النزعة هي أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى بحيث لا تستطيع تناول المسألة الحضارية من زاوية المادة فحسب، ذلك لأن رسالة الإنسان في الحياة لا تحدد من خلال حاجاته

---

[1] : سليمان الخطيب: أسس الحضارة في الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 69 .

[2] : المرجع نفسه ،ص 72.

الاستهلاكية ،وان ما لابد من نزعة دينية متأصلة داخل النفس معنى ذلك أن الفكرة الدينية تمثل أساسا حقيقيا في البناء الفكري للحضارة[1] ومنها تنطلق كل التفرعات.

معنى كلمة دين:

إن معنى كلمة دين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير إحداهما هذه الحالة النفسية التي نسميها التدين، والمعنى الآخر تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الجارية أو الآثار الخالدة ،أو الروايات المأثورة ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من أمم اعتقادا أو عملا ،وهذا هو المعنى الأغلب.

ويرى محرر مادة الدين في" معجم لاروس" للقرن العشرين أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ،حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، أو أن الاهتمام بالمعنى إلا لهي، وربما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ،وهذه الغريزة لا تختفي بل تضعف الا في فترات الإسراف في الحضارة عند عدد قليل جدا من الأفراد[2] .

الدين هو شريعة الإصلاح ينظمها قانون سماوي له في نفوس الحب والتقديس، وهو الأساس في التجديد والبناء والنهضة والحضارة والنبع الأزلي للحقيقة والإيمان والعدالة.

---

[1] لمرجع السابق ، ص 72 .

[2] حسن رمضان فحلة : مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام ، دار الهدى عين مسيلة الجزائر، ط1 ،1989، ص157 .

يقول هنري برجسون: "لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلفسات، ولكنه لم توجد قط جماعة تغير ديانة "[1] يعني أن لا يوجد أحد يغير ديانة

ويقول محمد فريد وجدي "في مادة "دين" في دائرة معارفه يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ،لأنها أرقى ميول النفس ،وأكرم عواطفها ،ناهيك يميل يرفع رأس الإنسان ،بل أن هذا الميل سيزداد، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذاعقل به الجمال والقبح ،أوستزداد هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه "[2].

ومن المعروف أنه لابد لآية حضارة من أساس تشاد عليه، ومن دوافع يدفعها للنهوض والظهور على صعيد الواقع ونشوء الحضارة وبقاؤها واستمرارها مرتبط بالإيمان والعمل الصالح والاستجابة لأوامر الله تعالى. حيث تتحقق خلافة الله على الأرض، وما تقتضيه تلك الخلافة من عمارة وتشييد، وما تحتاج لبقائها من قيم ومبادئ ومناهج وأسس تنير الدرب للإنسان في الأرض والعمل فيها مع المؤمنين الصالحين لإرضاء الله تعالى. ودليل على ذلك الحق تبارك وتعالى "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ,وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا" السورة النور55[3] لاشك في أن أخذ الإنسان بهذه الصفات لابد أن يكون قوة دفع ايجابية هائلة في بناء الحضارة.

إن أول من حاول إبراز دور فكرة الدين في تكوين الحضارة المفكر الإسلامي عبد الرحمان بن خلدون والمتبع للدراسات التي نشرت عن بن خلدون يلمس بوضوح اتفاقها على أنه يمثل علامة بارزة

---

[1] محمد عبد المنعم:الإسلام و الحضارة الإنسانية،دار الكتاب اللبناني،بيروت 1982 ،ص 82

[2] فريد وجدي ،نقلا عن محمد عبد المنعم خفاجي،الإسلام و الحضارة الإنسانية،ص 83.

[3] حسن رمضان فحلة:مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام ،ص 40.

في مسيرة الفكر العربي الإسلامي وخلاصة الحفل المعرفي لفلسفة التاريخ والحضارة حيث أشيعت بحثا النواحي الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والأدبية المنهجية[1].

غير ذلك في المقدمة وذلك في معرض مواجهة الآراء التي تطعن في انتمائه للثقافة الإسلامية

أما مالك بن نبي وهو من أهم المفكرين المسلمين الذين اهتموا بتحليل أهمية الفكرة الدينية ودورها في صنع الحضارة، فهو يرى أن الدين هذا التعبير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة عبر القرون ،وهو يعتبر في منطق الطبيعة أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى لذلك، فنحن لا نستطيع تناول الواقع الإنساني من زاوية المادة وحسب ،لأن رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا، فهو لا يؤثر فيها تبعا لوجوده الزمني فحسب أعني تبعا لحاجاته المادية بل أنه يؤثر طبقا لوجوده النفسي، أعني طبقا لحاجاته الروحية، وتلك هي حقيقة الإنسان كاملة، وهي ما ينبغي أن يدركه لتناوله كلا غير متجزئ، فما كان لنا أن نحدد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا أحد هذين الجانبين الروحي أوالزمني ،فهو من جانب الأول إنسان متدين، فالعنصر الديني يتدخل هنا مباشرة في الطريقة التي يتبعها الاستيطان ذاته باعتبار أساس لضمير يبحث عن نفسه، هذا الضمير الديني قد ارتبط بالوعي الاجتماعي، ربطهما الإنسان ذاته، بحيث لا يمكن، أن ينفصل كلاهما عن الآخر[2] وهو يعتبر أن دورة أي حضارة لا تتم الا حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة[3].

---

[1] سليمان الخطيب:أسس الحضارة في الإسلام،ص74.

[2] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ترجمة شاهين عبد الصابور،دار الفكر سوريا،ط2،1970ص 175.

[3] المرجع السابق،ص74,

فمالك بن نبي يرى أن الفكرة الدينية التي تشترط سلوك الفرد، تخلق في قلوب المجتمع بحكم غاية معينة ، تتجلى هذه الغاية في مفهوم آخر وتتحقق تاريخيا في صورة حضارة وهذه الغاية تمنح إياها الوعي بهدف معين تصبح معه الحياة ذات دلالة ومعنى ... وهي حينما تمكن لهذا الهدف من جيل الى جيل ومن طبقة الى أخرى فإنما تكون قد تمكنت لبقاء المجتمع .

ودوامة وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة[1].

وحين نتأمل القرآن الكريم يظهر كأن الدين كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها والدين على هذا يبدوا كأنه مطبوع في النظام الكوني قانونا خاصا بالفكر الإسلامي[2] الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية.

مالك بن نبي ومصادر فكره ومكونات شخصيته:

ترجمة حياته ومؤلفاته:

ولد مالك بن نبي رحمه الله بمدينة قسنطينة سنة 1905م في أسرة متواضعة إذ كان أبوه يشغل وظيفته خوجة لدى الإدارة المحلية بمدينة تبسة وكانت أمه تقوم في بيتها بالخياطة قصد مساعدة زوجها في توفير ضرورات الحياة لأفراد العائلة .

كان مالك بن نبي وحيد أبويه من الذكور ولذلك فقد كان محل عناية كبيرة منهما وحتى من شقيقتيه وأتيح له أن يعيش طفولته في جو ديني في كل من قسنطينة وتبسة، حتى أن أمه اضطرت يوما

[1] المرجع السابق،ص 109.

[2] الإسلام و صراع الحضارات في القرن الخامس عشر،محمد بلبشير،مجلة الأحياء عدد08،شهر05،2004،ص 414.

الى إعطاء المعلم الذي يدرس ابنها القرآن سريرها الخاص بدل المال، وأتيح له أيضا أن ينهل من ثقافتين إذا التحق بالمدرسة القرآنية والمدرسة الرسمية الفرنسية ويعترف مالك بن نبي نفسه بأنه لم يفلح سوى في حفظ جزء قليل جدا من القرآن الكريم بسبب عقم المناهج التعليمية في الكتاتيب[1] بينما فاق أقرانه في المدرسة الفرنسية لكون الدراسة فيها قائمة على أسس علمية مدروسة ومناهج تربوية دقيقة.

وقضى مالك بن نبي طفولته متنقلا بين قسنطينة وتبسة ،هذه الأخيرة التي أصبحت مقرا لسكنى عائلته بعد الموجة الأولى من الهجرة التي اجتاحت قسنطينة ومدنا أخرى حوالي سنة 1908م تعبيرا عن رفض أهالي البلاد معايشة المستعمرين ،وهاجرت عائلة مالك بن نبي الى تبسة لأن أمه كانت تتمسك بالبقاء قرب أهلها الذين استقروا هناك منذ ما يقرب من خمسين سنة[2].

ويذكر مالك بن نبي أنه بدأ دراسته بداية طيبة ،أنه نجح في شهادة الدروس الابتدائية بتفوق،كما فاز في امتحان الحصول على منحة قصد متابعة دراسته في مرحلة تكميلية بقسنطينة في مدرسة "سيدي الجلي " حيث يتم إعداد المرشحين (خلال سنة أو سنتين) للدخول إلى المعهد المعلمين ،أو ليصبحوا مساعدي أطباء ،أو عدولا في الشرع الإسلامي.

وحقق مالك بن نبي أمنية والديه في أن يصبح عدلا في الشرع الإسلامي فسجل مع أحد زملائه من تبسة نجح هو الآخر في امتحان المنحة في دروس الشيخ عبد المجيد الذي كان يدرس في مدرسة

[1] د يوسف حسين:نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث،دار التنوير للنشر و التوزيع ط1،2004،ص 06،نقلا عن مالك بن نبي،مذكرات شاهد القرن .

[2] المرجع نفسه،ص 07.

(سيدي الجلي) يعد فيها التلاميذ الذين تم توجيههم ليصبحوا عدولا في الشرع الإسلامي وفي العام الدراسي (1924-1925م)شرع مالك بن نبي يفكر بجدية في ماذا سيعمل مستقبلا بعد التخرج[1] ؟

ولذلك نراه اثر انتهاء العام الدراسي ونجاحه يسافر مع زميل له يدعى "قاواو" إلى فرنسا بحثا عن العمل فزارا مرسيليا وباريس دون أن يتمكنا من الحصول على عمل ثم عادا إلى الجزائر بعد مغامرة يائسة جعلت مالك بن نبي يرسل نداء استغاثة فأرسل إلية فلوس العودة .

وعاد إلى تبسة حاملا معه السؤال: ما العمل؟ وفي تبسة عمل مساعدا بدون أجر لصديق عدل في المحكمة، ثم عاد اعتماده من المحكمة كمعاون متطوع مما أكسبه خبرة مهنية ومكنه من مرافقة أعضاء المحكمة لتنفيذ الأحكام وانتشله من العدم والفراغ الذي نشعر بأنه غارق فيها منذ رجوعه من فرنسا خائبا.

وفي شهر مارس من عام 1927م تم تعيين مالك بن نبي في محكمة مدينة "آفلو "بغرب الجزائر في وظيفة عدل شرعي ،فمكث فيها سنة كاملة عاد بعدها إلى قسنطينة حيث قابل الشيخ عبد الحميد بن باديس لأول مرة ثم توجه إلى تبسة قصد قضاء عطلته السنوية[2].

علم قبل انتهاء عطلته بوجود وظيفة عدل شرعي شاغرة في محكمة مدينة "شلغوم العيد، على بعد حوالي 50كلم من قسنطينة فتقدم إليها فحصل عليها ، ولكن مالك بن نبي استقال من عمله هذا بعد فترة وجيزة جدا، إذ لم تعجبه هذه المدينة التي كانت مركزا كبيرا للمستعمرين وخاضعة خضوعا

[1] المرجع السابق،ص 08.

[2] المرجع نفسه،ص09

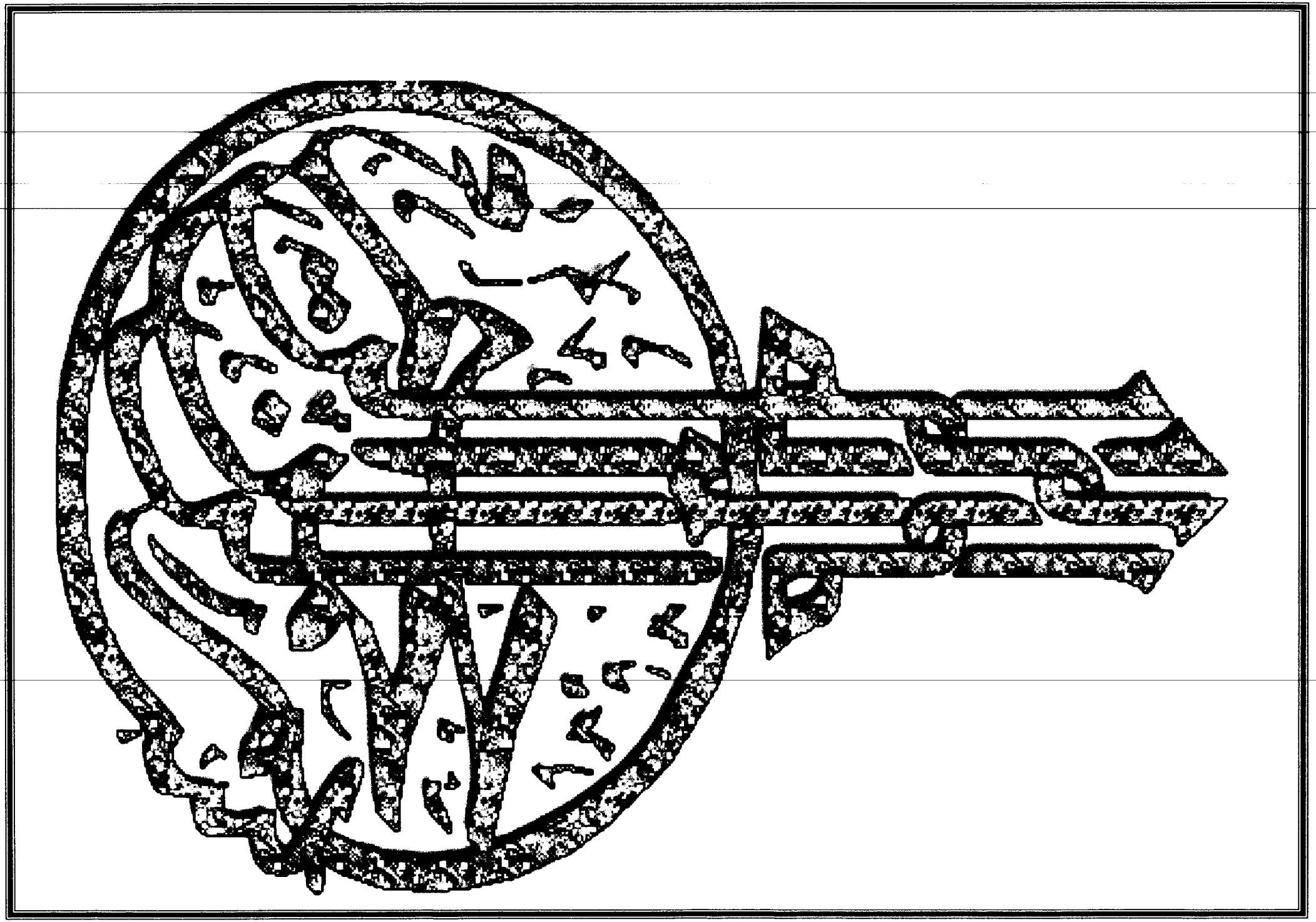

تاما لقانون الاستعمار بحيث أصبح الجزائريون الأصليون فيها وكأنهم يقيمون في أرض أجنبية، كما لم يرتح إلى كاتب كورسيكي الأصل بمحكمة الصلح أقلقه مما أدى إلى نشوب خلاف حاد بينهما .

وعاد مالك بن نبي إلى تبسة حيث اشترك مع زوج أخته الكبرى ورجل ثالث في تأسيس مطحنة بتبسة، غير أن الحظ لم يحالف هذه الشركة إذ داهمتها الأزمة الاقتصادية عام 1929 مما اضطر مالك وصهره إلى ترك المطحنة للشريك الثالث .

وحرصا على مستقبل ابنيهما، اقترح والد مالك عليه أن يسافر إلى باريس لإكمال دراسته والالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية قصد التمهيد لدخول كلية الحقوق ، ووعداه بإرسال ما يكفيه من مصاريف شهريه.

وهكذا سافر مالك إلى فرنسا وحل بها في شهر سبتمبر 1930 وسجل في امتحان القبول بمعهد الدراسات الشرقية ، و لكنه لم ينجح ، لأن النجاح –كما ذكر – بالنسبة لمسلم جزائري لا يخضع لمقاييس علمية وإنما لمقاييس سياسية قال: "ونودي علينا فدخلنا و لم تبدلي أية صعوبة في الاختبارات ولكن النتيجة كانت خيبة أمل ،و لم أنجح"[1].

وبعد تخرجه مهندسا كهربائيا عام 1935عاوده السؤال الذي كان يطرحه من قبل ..ما العمل؟ومن أجل الحصول على عمل قصد قسم هندسة المدفعية بوزارة الدفاع الفرنسية لإجراء امتحان خاص باختبار أساتذة لتدريس الرياضيات في هذا القسم وفجاءه الجواب بعد أيام قليلة "إنكم لم تستوفوا شروط الامتحان "[2] وطرق باب المستشرق الفرنسي ماسنيون فأجابه "انك تطلب شيئا هاما "[1]

---

[1] مالك بن نبي:مذكرات شاهد القرن،"الطفل"،دار الفكر،دمشق للنشروالتوزيع ،ط1، ، 1969 ،ص 217.

[2] المرجع السابق ،ص 382 .

وبلغه أن الإدارة بتونس قد شرعت في فتح طريق بالجنوب التونسي ،وأنها تطلب تقنيين من أجل انجازه ،غير أنه على الرغم من تدخل ممثل الجمهورية الفرنسية الثالثة لتأييد طلب مالك بن نبي للعمل فقد جاءه هذا الرد السلبي :(اننا لا نستطيع التصديق على هذا الطلب لأن الطريق المشروع في انجازه طريق عسكري ،وحاول السفر إلى الحجاز ومصر، وأفغنستان وألبانيا وايطاليا فباءت محاولاته بالفشل.

وأخيرا تعاقد مع دار باريسية للنشر تخصصت في طباعة وتوزيع الكتب العلمية المبسطة، وذلك بتدخل من أسرة كانت تزورهم في بيتهم من حين للآخر. ورأت هذه الدار أن من مصلحتها مد نشاطها إلى الجزائر فأرسلت مالك بن نبي إلى الجزائر العاصمة قصد ترويج مطبوعاتها[1]. واشتغل كموزع ليومين أو ثلاثة ،ثم استأذن من زميل له كان يعمل معه وسافر إلى تبسة بعد أن تأكد بأن "عملا مثل هذا يستحيل عليه في مجتمع صنعه الاستعمار".

مؤلفاتـــــــــــــه:

امتاز مالك بن نبي بغزارة الإنتاج ،فترك للعالم الإسلامي كتبا قيمة أصدرها تحت عنوان "مشكلات الحضارة "وهي كالآتي :

1ــ الظاهرة القرآنية:صدر سنة 1946 بالجزائر باللغة الفرنسية كتبه مالك بن نبي نتيجة لشعوره بالعجز البلاغي والبياني في القرآن الكريم فحاول إيجاد وجه آخر للإعجاز ,بحيث يستوعبه الجزائريون الذين لا يتقنون اللغة العربية جيدا ،فجاءه بوجه إعجاز آخر في سائل أخرى مثل التدبر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ....الخ

[1] المرجع السابق،ص 381 .

2ـ لبيك الجزائر :صدر سنة1947 وهي القصة الوحيدة لمالك بن نبي ،وقد اتصل به سينمائيون فرنسيون بمجرد صدورها قصد إخراجها كفيلم لكن مالك بن نبي رفض الفكرة لأنه شعر بأنهم يهدفون من وراء ذلك إلى تحويل وجهته نحو قضايا هامشية لا تتماشى مع توجهاته الفكرية ومبادئه الإصلاحية.

3ـ شروط النهضة :صدر سنة 1948 بالجزائر ،وهو كتاب عظيم القيمة ،أبرز فيه مالك بن نبي مزايا وفضل الحركة الإصلاحية في الجزائر خاصة وفي الإسلامي العالم عامة ،كما تناول مسائل من الحاضر والتاريخ والمستقبل وكذلك تحدث هنا عن عناصر الحضارة الإنسان والتراب والوقت.

4ـ وجهة العالم الإسلامي : صدر سنة 1954 بباريس والذي تحدث فيه عن حال المسلمين وواقعهم بعد "دولة الموحدين " فهو يعتبر أنم الحضارة الإسلامية توقفت بعد دولة الموحدين في المغرب ،كما يرى أن للحضارة ثلاث مراحل هي :

الوهج أو الاندفاع ثم الاستقرار ثم الغرائز، وهنا يفقد المجتمع تماسكه الاجتماعي[1]

5ـ الفكرة الإفريقية الآسيوية: صدر سنة 1956م بالقاهرة وهو أول كتاب ألفه مالك بن نبي باللغة العربية ،ويرى فيه أن السؤال ليس لماذا يوجد الاستعمار أو ظلم في العالم ، وانما لماذا نحن المسلمون مستهدفون دون غيرنا من البشر بهذا الظلم[2].

6ـ النجدة للجزائر: صدر سنة 1957 بالقاهرة.

7ـ **مشكلة الثقافة** :صدر سنة 1959م بالقاهرة وهو تطوير لما كتبه مالك بن نبي عن الثقافة في كتابيه "شروط النهضة "والفكرة الإفريقية الآسيوية "ذلك أنه "شعر بالحاجة إلى جمع أفكاره

[1] مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ،ص 10 .

[2] مالك بن نبي :فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط3 ، 2001 ، ص 13 .

حول الثقافة وعرضها من جديد في صورة تحليلية تحفز الفكر العربي والإسلامي وتحركه باتجاه اكتشاف الحقائق والمصطلحات بوسائله الخاصة ووفق المعطيات النابعة من تجربته"[1] ولذلك فقد جاءت أفكار مالك بن نبي حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة لم تألفها المصطلحات المستورة التي تمت صياغتها في إطار الفكر الليبرالي، أو في إطار الفكر الاشتراكي التقدمي[2] حديث بناء جديد صدر سنة 1959 بيروت صدر.

8ـ الصراع الفكري في بلاد المستعمرة: صدر سنة 1960م بالقاهرة صدر أصلا باللغة العربية حاول فيه مؤلفه الكشف عن حقيقة الصراع الفكري ولعنته[3]

9- **الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي** :صدر سنة 1960 بالقاهرة

10ـ فكرة كومنيلث إسلامي :صدر سنة 1960 بالقاهرة ، وهو في الأصل عبارة عن مخطوط كتبه ابن نبي باللغة الفرنسية في نهاية الخمسينيات ويذكر مالك بن نبي "... إن من بين الدوافع التي حركته إلى تحريرهذه الصفات سنة 1958 كان وكان قبل كل شيء رجوع المؤمن إلى المخطط الأول الذي وضعه المشيد الأول لهذه الأمة محمد عليه الصلاة والسلام[4] .

11ـ تأملات في المجتمع العربي :صدر سنة 1961م بالقاهرة يتضمن خمسة: محاضر مترجمة من الفرنسية إلى العربية، حيث قال المحامي عمر مسقاوي وحينما هم الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله بطبع كتبه من جديد،شاء أن يعطي لتأملاته شمولا يتلاءم مع نطاقها فهو إذا تحدث عن المجتمع العربي فإنما

---

[1] مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ،ط4 ، 1984 ،ص8 .

[2] المرجع نفسه ،ص 8 .

[3] مالك بن نبي : الفقه الحضاري ، مجلة قسنطينة ، جويلية ،2006 ، ص 49 .

[4] مالك بن نبي : فكرة كومنويلث إسلامي ، ترجمة الطيب شريف ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 2000 ، ص 7.

يعالج الظواهر المرضية التي انتظمت العالم المتخلف من أقصاه إلى أقصاه ، وإذا تحدث عن بناء جديد فإنما يبرز الحاجة إلى حضارة تنقل البلاد المتخلفة إلى مستوى المشاركة إلى مسيرة العالم[1].

12- **في مهب المعركة** :صدر سنة 1961 بالقاهرة وهو عبارة عن مقالات كتبها ونشرها مالك بن نبي في باريس نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات[2].

13ـــميلاد مجتمع :شبكة العلاقات الاجتماعية :صدر سنة 1962م في القاهرة ،ويقدمه المحامي عمر مسقاوي في الطبعة الثانية عام 1974 بقوله "وميلاد مجتمع هو الجزء الأول من دراسة لم يتمها المؤلف ، لكنه يستقل في بحث متكامل عن "شبكة العلاقات الاجتماعية "والكتاب نظرة تحليلية لمكونات المجتمع"[3]

14-آفاق جزائرية : صدر سنة 1964م في الجزائر هو يتضمن ثلاث محاضرات الأولى تحت عنوان "مشكلة الحضارة" وألقيت بالفرنسية في الجزائر العاصمة يوم 1964/01/09 م[4].

الثانية بعنوان "مشكلة الثقافة " وألقيت في الجزائر العاصمة بالغة الفرنسية يوم 1964/01/15م[5] وباللغة العربية في مدينة قسنطينة بتاريخ 1964/01/30والثالثة تحت عنوان "مشكلة المفهومية " وألقت باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة يوم 1964/02/24 ،ونشرت كاملة بجريدة "الشعب" الفرنسية في فيفري سنة 1964م[6].

---

[1] مالك بن نبي : تأملات ، دار الفكر دمشق ط1 ، 1979 ، ص 7 .

[2] مالك بن نبي : في مهب المعركة ، دار الفكر ، دمشق ، ط3، 1981 ، ص 9 .

[3] مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، شبكة العلاقات الإجتماعية ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1962 ، ص3 .

[4] مالك بن نبي : آفاق جزائرية ، ترجمة الطيب الشريف، الجزائر ، مكتبة النهضة الجزائرية ، ط1 ، 1964، ص 23.

[5] المرجع نفسه ، ص 93 .

[6] المرجع نفسه ، ص 147 .

14- مذكرات شاهد للقرن :ويتكون من قسمين :القسم الأول وأصدره مالك بن نبي عام 1966م في الجزائر باللغة الفرنسية "الطفل "حيث تحدث فيه بن نبي عن المرحلة الأولى من حياته (1905-1930) وما رافقتها من أحداث وطنية ودولية وكان في كل التفاصيل التي يدركها يحاول أن يجسد رؤيته الفكرية وذلك باعتباره شاهد بصر وفكر في آن واحد [1].

15ـ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:صدر سنة 1970في القاهرة وفيه يبين مالك بن نبي ..إن الإنتاج الاستشراقي بكل نوعيه (في صورة المديح والإطراء أوفي صورة التنفيذ والإقلال كان شرا على المجتمع الإسلامي[2].

16ـ **مذكرات شاهد القرن** : القسم الثاني الطالب صدر سنة 1970 بيروت[3] تحدث فيه بن نبي عن مرحلة أخرى من حياته في فرنسا (1930-1939).

17ـ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي :صدر سنة 1971 في القاهرة وهو كتاب جمع مالك بن نبي المدة الضرورية لإتمام تأليفه سنة 1960م حاول فيه تبيان أن المجتمعات العالم الإسلامي تواجه منذ تدهورها الحضاري مشكلة أفكار ليس مشكلة وسائل[4].

18ـ دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير في القرن العشرين صدر سنة 1972بيروت

19ـ المسلم في عالم الاقتصاد صدر سنة 1972 بيروت.

---

[1] مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن ،ص 8 .

[2] د يوسف حسين: نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، نقلا عن مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي ، ص 24 .

[3] المرجع السابق، ص 8

[4] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، دار الحكمة للنشر والتوزيع، تونس ، 1985 ، ص 9.

20ـ بين الرشاد والتنبيه :صدر سنة 1977 بلبنان وهو عبارة عن مقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية ونشر معظمها في جريدة "الثورة الإفريقية" اثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات (1964-1986)

21ـ من أجل تغيير الجزائر :صدر سنة 1989م بالجزائر[1].

[1] مالك بن نبي : الفقه الحضاري ، ص. 47 ، 49 .

الفصل الأول

المبحث الأول:مدخل إلى الفكر الإسلامي:

نظرا لطبيعة المعرفة في البيئة الإسلامية الأولى. ودخول العلماء والمفكرين ميدان استنباط العلوم والمناهج والأدلة، وبروز إشكالات من قبيل ماهو كلامي أو فلسفي في الثقافة المعرفية الإسلامية،كان لهذا المفهوم حضورا في مجموع السجلات والتأليفات، وأن لم يكن في كثيرا من الأحيان بصيغة الفكر،إنما جاء في كثير من المرات بصيغة العقل والتأمل والتدبر والنظر،وفما يلي بعض التعريفات المعطاة لهذا المفهوم[1] يقول أبو حامد الغزالي "أعلم أن معنى الفكر هو احضارمعرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[2].

ويقول جميل صليبا " وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر و التأمل[3].

وتعريفات الفكر والتفكير هو أساس اللغة، أما الشعور فيهتم بقيم الشعور التي تملكها اللغة بالفعل والتفكير والشعور حسب"بونج" وظيفتان عقليتان أما الإحساس والحدس فهما- على العكس- وظيفتان غير عقليتان ويمكن عدهما غير لغويتين.

فالفكر والتفكير هما:

[1] د محمد عمارة:أزمة الفكر الإسلامي،دار الفكر،دمشق،ط1،1998،ص 81.

[2] المرجع نفسه،ص 82.

[3] جميل صليبا:تاريخ الفلسفة العربية،داركتاب، اللبناني،بيروت،ج2،ط1973/2،ص 154.

- نشاط ذهني يختلف عن الإحساس و الإدراك حيث انه تدفق فكري تثيره المشاكل التي تتطلب حلا، وهذا التدفق الفكري يقوم بالدراسة و التحليل لكل المعطيات المشكلة و جوانبها، للوقوف على الضوابط والمعايير التي تحكمها و الآليات التي تعمل بموجبها.
- التفكير عملية نفسية ذات طبيعة اجتماعية تتصل اتصالا وثيقا بالكلام.
- التفكير انعكاس واع للواقع.
- التفكير تمثل داخلي للأهداف و الوقائع و الأشياء الخارجية.
- التفكير سلوك عقلي منظم وموجه[1]

وبعد الحديث عن مفهوم الفكر في اللغة و المعاجم القديمة و الحديثة نرى ضرورة تحديد مفهوم الفكر الإسلامي وهنا الضابط الأساسي. إذ الإسلامية هي الإطار الذي به وعليه وحوله تدور مجموع تأملات ونظرات المفكرين المنتمين إلى المذهبية الإسلامية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتباران هوية الفكر ،أي فكر وخصوصيته لا يتم التوصل إليها إلا من خلال النظر في العلاقة المتينة الموجودة بين هذا الفكر والمرجعية التي ينتمي إليها،والتي تمنحه الرؤية وتحدد له نوع المنهج بل حتى الأهداف.

وإسهاما في تقريب مفهوم الفكر و تصحيح الرؤية الخاطئة التي شاعت حوله،نقول مع مجموعة من الباحثين إن الفكر الإسلامي فكر متصل بالله تعالى والعالم و الانسان[2].والذي يعتبر الضابط الأساسي الذي يحدد معنى الفكر في الإسلام[3].

[1] عبد الحكيم السلوم:التفكير و حل المشكلات،النبأ،العدد53،شوال 1421ه،كانون الثاني2001.
[2] محسن عبد الحميد:تجديد الفكر الإسلامي ،هيرفدن،الولايات المتحدة المريكية،ط1،1996 ،ص 18.

المبحث الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي.

فقد جاءت هناك تعريفات عدة فقد عرفه الدكتور محسن عبد الحميد بقوله: "مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة ، وهو يعني كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والدي يعتبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ عقيدة وشريعة وسلوكا"[1].

تحدث الدكتور الترابي عن الفكرالاسلامي ضمن حديثه عن التجديد حيث وضح إن الفكر عمل المسلمين يطرأ عليه ما يطرأ سائر الحادثات ، ولربما يتساءل المرء هل يتجدد الفكر الديني ؟. أليس الدين حقائق ثابتة لا تتغير من حين إلى حين ؟ بلى ذلك حق في شان حقائق الإسلام ولكن الفكر عمل المسلمين في تفهم الدين وتفقهه ، وذلك كسب بشري يطرأ على سائر الحادثات من التقادم و التبلي والتوالد والتجديد[2] وعرفه الدكتور محمد الصادق العفيفي "الفكرالاسلامي هو حصيلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيم يمس عالمنا الواقعي الموسوم بعالم الشهادة ويدفع التأمل و الملاحظات و النظر فيم يتعلق بقضايا العقيدة و العبادة و القيم و التراعات و الأخلاقيات"[3] و غير ذلك ما يدخل في التراب الإسلامي.

وبالرجوع إلى مصطلح الفكر الإسلامي من حيث المجالات فنجد انه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول:وفيه مجال الفكر الإسلامي واسعا. بينما القسم الثاني نجد فيه مجال الفكر الإسلامي ضيقا ، فالمجال الواسع للفكر الإسلامي يشمل جميع إنتاج فكر المسلمين من البعثة إلى يومنا هذا، أما الضيق فهو

---

[2] المرجع السابق،ص 41.

[2] د الترابي:قضايا الفكر،معهد البحوث و الدراسات الإجتماعية،ط2،1995،ص 80.

[3] د محمد الصادق العفيفي:الفكر الإسلامي،مكتبة الخانجي،القاهرة،دت،ص 12.

الذي يشمل جوانب معينة وهو الفلسفة الإسلامية ، وعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه و غير ذلك مما يدخل في التراث الإسلامي[1].

ومما سبق يتبين الفرق بين الفكر الإسلامي و الإسلام باعتبار إن الإسلام هو من عند الله لا مجال فيه لاجتهاد بشري بينما الفكر يجتهد فيه العقل البشري فيخطئ ويصيب[2].

كما تعددت تعريفات الفكر الإسلامي لغة واصطلاحا، فان الفكر الإسلامي هو الآخر تعريفات عدة نذكر من بينها:

هو كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – والعالم والإنسان والذي يعتبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك –الكونية المتصلة بالله- سبحانه وتعالى[3] والفكر الإسلامي يعني كل ما ألفه علماء المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية ،عقيدة وشريعة وسلوكا و النتاج الفكري بأصل الشرعية و الغير الشرعية بغض النظر عن الحكم على مدى ارتباط هذا المسلمين في شتى العلوم والعقيدة الإسلامية.

لعب الفكر دورا هاما في حياة الإنسان منذ أن خلق.. بل انه كان السبب الذي تغيرت به حياته. فأول عملية هامة وأخطر حركة تمت في الوجود كانت نتيجة فكر..فعن طريق الفكر هبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ..فقد خلق الله جل شأنه آدم في الجنة ثم خلق له حواء لتؤنس وحدته وتملأ عليه فراغ حياته وتمنع عنه الملل والسأم ولتحفظ عليه سعادته .. وحتى لا يقوم بينهما تنافس أو يثار بينهما حقد أو حسد فيما لو كان الرفيق لآدم من جنسه..شاءت إرادة الله سبحانه و تعالى أن يكون

[1] د السيد محمد عقيل:مدخل إلى دراسة الفكر الإسلامي،دار الحديث،القاهرة،ط1،2004،ص 11.
[2] د أحمد سلبي:الفكر الإسلامي منابعه و أثاره،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط2،1986،ص85.
[3] محسن عبد الحميد:تجديد الفكر الإسلامي،ص 18.

ذلك الرفيق من غير جنسه، فكانت حواء أنثى وكان آدم ذكرا و لم يكن الإنجاب والتوالد بالطريق الذي نعرفه هو الأصل في خلق حواء أنثى ،ففي الجنة حيث كان أولا لم يتبينا مظاهر الاختلاف بين جسديهما ومن ثم لم تكن من هناك من فرصة للإنجاب، وكان من الممكن بعد أن يأمر الله بإنزال آدم من الجنة أن تخلق له حواء على الأرض مستعدة لأن يتم بها قصة الخلق عن طريق التزاوج[1] (أو يخلق الله جل شأنه)

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفكر مصطلح قديم منذ خلق آدم وحواء وبمجيء الإسلام وأصبح هذا الفكر فكرا إسلاميا ومصادر هذا الفكر يمكننا أن نقسمها إلى قسمين هما:

1-مصادر أولية:

أ: الكتاب:يعد القرآن الكريم مصدرو منبع الفهم والتشريع والحضارة ومقياس الخطأ والصواب وعلى أساسه يبني المسلمون فكرهم ومعارفهم و حضارتهم و علومهم في الفقه والتشريع والعقيدة والفلسفة والأخلاق والفن وثقافتهم، والأدب وشتى صنوف المعرفة والفكر والثقافة.

لقد كان نزول الوحي في أرض الجزيرة العربية على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بداية التعبير والانقلاب الفكري والحضاري العقائدي.

والاجتماعي والحياة البشرية و منطلقا جديدا أو شاملا ، فقد شكل نزول القران منعطفا تاريخيا حاسما ، عبرالقرآن عن الانقلاب الحضاري بأنه إخراج من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن الموت إلى الحياة قال تعالى " **الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد "سور إبراهيم1.**

[1] عبد الرزاق نوفل:دين و فكر،دار الشروق،القاهرة،ط1،1989،ص 14.

وقال أيضا " **او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون "الأنعام122**

إن السعة والشمول والاستيعاب القرآني القائم في نصه و مفهومه و سعة أفق لمعالجته مصدر ثري للفكر، ومادة أساسية لصناعة و تقويم و تسديد المعرفة الإنسانية ووضعها على طريق الاستقامة.

إن العلاقة بين القران و الفكر تتلخص في مجالين أساسين:

1- إن القرآن منبع ومصدر للفكر و الثقافة و الحضارة الإسلامية، نظرا لما حوا من سعة و شمول، ومن مادة فكرية و ثقافية و علمية ، فقد وضع الأسس و القواعد العامة و الإطار الشامل للفكر الإسلامي ولخط الحياة و المعرفة الإسلامية العامة[1].

إن القرآن الكريم قد وضع الأسس و الكليات العامة للتفكير الإسلامي الملتزم و المادة الفكرية المحررة من قيود الزمان المكان، و أرسى قواعد التفكير الإسلامي.

2-انه مقياس للفكر الإسلامي وبالإضافة إلى أن القرآن مصدر الفكر و تقويمه فعلى أساس القرآن يجري تقويم و ميزان لضبط الصواب قال تعالى:" **فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول" (النساء59)**[2] إن الله تبارك و تعالى في كل ذلك يثبت لنا وجوب الرجوع إلى القرآن كمقياس وميزان للفكر ومفاهيم الحياة والتشريع والقانون.

ب- السنة المطهرة: وهي المصدر الثاني من مصادر الفكر والتشريع بعد القرآن .ومنبع أساس من منابع الهداية والإصلاح .وعلاقتها بالقرآن تتحدد في أنها مبينة وكاشفة عن محتواه ومترجمة له،وقد اعتنى

[1] المرجع السابق،ص 15.

[2] المرجع نفسه،ص 16.

العلماء بالسنة وبذلوا جهودا شاقة ومنظمة لحفظها وتنقيحها وضبطها وتدوينها ونقلها وقد مرت السنة في نقلها بمرحلتين :

أ) مرحلة الحفظ في الصدور والنقل عن الرواة مشافهة:

ب)مرحلة التدوين والكتابة واستيداع السنة في كتب خاصة

وقد حوت هذه الكتب آلاف الأحاديث والروايات التي عالجت الأحداث والوقائع المختلفة ،وليسلك الكثير منها كقواعد وأسس تشريعية وفكرية وتربوية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية ،وبضمها إلى ما جاء في القرآن الكريم وربط بعضها ببعض نحصل على ثروة فكرية ضخمة وعطاء معرفي وثقافي لا يضاهى.

وتحتل السنة النبوية في الحياة الفكرية للمسلمين دورا أساسيا يتلخص في أنها مصدر للفكر والتشريع والمعرفة الإسلامية .

إنها مقياس لتحقيق الصحة والصواب لما يتجه المفكرون والباحثون الإسلاميون .

إن الرجوع إلى الكتاب والسنة و المفاعلة بين محتويهما استطاع الفكر الإسلامي أن يبني هذا الصرح الفكري والثقافي والمعرفي الشامخ،ويغطي ما استجد واستحدث من مسائل ووقائع فكرية وتشريعية[1]

السنة المطهرة يتابعها الثلاثة القول الفعل والتقدير،قد تناولها الصحيح بالدرس والتحليل والتحقيق ،وأسسوا علم الرجال وعلم الحديث لا ثبات وإلقاء المدسوس منها.

[1] عبد الرزاق نوفل:دين و فكر،ص 18.

ج) العقل : للعقل دور أساس في بناء الفكر الإسلامي بما حوي من آفاق وأبعاد واسعة فالعقل هو الأداة الفعالة التي استخدمها العلماء والفلاسفة والمفكرون في اكتشاف العلوم والمعارف الحضارية والأفكار والمفاهيم واستنباط الأحكام والربط والتحليل بين الأفكار والمفاهيم لإنتاج ممارسة العقل ودوره في الفهم والاستنتاج.

لقد أطلق القرآن حرية العقل وحرره من الركود والجمود ودعاه إلى التفكر والـــتأمل والفهم والاستنباط.

فالعقل كأحد أدوات المعرفة والتجديد فيراد به الفعاليات العقلية التي أقرها القرآن و السنة،وهي تساهم في بناء صرح الفكر الإسلامي و اكتشاف عناصره، و يؤكد القران الكريم هذه الفعاليات من خلال التأمل و التفكير و التعقل،قال تعالى" **قل انظروا ماذا في السماوات والارض"يونس10** و قال أيضا"**و كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون "[1]البقرة 219**، العقل هنا يعمل على التكامل مع النص وتحويله الى نظرية وحكم ، وهي من ثمار تعامل العقل مع النص اي إن العقل هنا لا يمارس دور المشرع الى جانب النص ، بل يقتصد دوره على الإدراك والكشف.

د- الإجماع: وقد ناقش العلماء قضية الإجماع في علم أصول الفقه ويعد مصدرا للتشريع وبما أن موضوعنا هو مصادر الفكر الإسلامي ، فان الإجماع رغم ضيق مساحته فأنه قد يمدنا أحيانا بالفكر

[1] علي مؤمن:الإسلام و التجديد في الفكر الإسلامي،المعاصر،دار الروضة،بيروت،ط1،2000،ص 22.

في المسائل التي يسلك في تلك القضايا التي يمكن أن تؤخذ عنه وتنسب إلى الإسلام ذلك لأن نسبة أي فكر إلى الإسلام لا تصح عنه إلا فيما أخذ من مصدرإسلامي[1].

المبحث الثالث: خصائص الفكرالإسلامي.

يمكن القول بأن السمات والخصائص التي تميز الفكر الإسلامي عن غيرها و من أبرزها:

1. **المرجعية** : وهي مصدر الإنتاج والتجديد وملاك انتسابها للإسلام لقوله تعالى " **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "(سورة الانعام153)**

الوحدة:الفكر الإسلامي وحدة مترابطة،وكل لا يقبل التبعيض وأجزاؤه يكمل بعضها البعض الأخر .فالعقيدة غير منفصلة عن السياسة والاقتصاد يتكامل مع حركة المجتمع ،والعبادة مع الجهاد والتزكية لصيقة بالعلم .الأمر الذي يفرض تحولا في الفكر بأجمعه ،بعد حصول أي تطور في بعض أجزائه[2].

الربانية:الفكر الإسلامي ملتزم بمعالم الطريق إلى الله يهدي إلى الله سواء كان سلوكا واعتقادا لتنتفي بذلك عنه صفة الهوى ،وعدم الموضوعية حيث يعتبر الفكر تفقه للشريعة الإسلامية " إن الفكر الإسلامي فكر ملتزم بمعالم الطريق إلى الله وليس فكر مجردا أو هوى معربدا بل هو تفهم وتفقه للشريعة الإسلامية .. ففي الدين الحقائق الثابتة والمعاني التي اشتر عها الله كلية أو فرعية على وجه القطع والدوام ولكن فيه فكر المسلمين الذين يأخذون تلك المعاني بالشرح ويقدمونها دعوة للآخرين أو يتفهمونها لكي يطبقوها في واقع معين "[3].

---

[1] المرجع السابق ص22

[2] علي مؤمن:الإسلام و التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر،ص 23.

[3] د الترابي:قضايا الفكر،ص 81.

فالربانية خصية من خصائص الفكر الإسلامي ويستمد منها الفكر الإسلامي قد يبينه ومنها تتبلور سائر الخصائص الأخرى المذكورة –كذلك فهو تصور اعتقادي موحي به من الله سبحانه ومحصور في هذا المصدر ولا يستمد من غيره .

و ذلك تمييزا له من التصورات الفلسفية التي ينشؤها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية،أو الحقيقة الكونية، أو الحقيقة الإنسانية و الارتباطات القائمة بين هذه الحقائق، وتمييزا له كذلك من المعتقدات الوثنية التي تنشؤها المشاعر و الأخيلة، و الأوهام و التصورات البشرية،ويستطيع الإنسان أن يقول و هو مطمئن: إن التصور الإسلامي، هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني و حقيقته الربانية[1].

الثبات:

بما إن الفكر الإسلامي تتصدر خصائصه الربانية فلا بد لهذه الربانية أن تجعل من هذا الفكر ثابتا لا تغيره الأهواء، ولا تبدله المواقف شأن الفكر البشري.إن خاصية الثبات تظل ملازمة للفكر الإسلامي،فثبات المصادر و الأصول للفكر الإسلامي هي التي تنعكس على الفكر لتجعله ثابتا،هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية و قيمة الذاتية،فهي لا تتغير ولا تتطور،حينما تتغير ظواهر الحياة و أشكال الأوضاع العملية..فهذا التغير في ظواهر الحياة يظل محكوما بالمقومات و القيم الثابتة لهذا التطور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر و الحياة،ولكن يقتضي السماح لها بالحركة،بل دفعها إلى الحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت[2].

[1] سيد قطب:خصائص التصور الإسلامي و مقوماته،دار الشروق،القاهرة،ط1،1998،ص 43.

[2] المرجع نفسه،ص 72.

إن الحقائق الثابتة في الفكر الإسلامي والتي لا تقبل الأخذ و الرد ولا تتمثل في حقيقة وجود الله سبحانه و تعالى،إن الكون بما فيه من خلقه تعالى حقيقة الإيمان بالله و أركان الإيمان و الإسلام و أركانه كل هذه الحقائق هي ثابتة لا تقبل أي تغيير ولا تبديل.

إن خاصية الثبات هي التي تعصم الفكر الإسلامي من الانحراف وتعصم المسلمين من الانحطاط،في المعتقد يقول تعالى" **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون"(الروم30)**

الشمول :شمول الفكر الإسلامي أن يعبر عن شمول الإسلام كنظام للحياة يفي بمتطلبات الحياة في مجال العقيدة و الاقتصاد والسياسة و القانون وسائر المتطلبات المجتمعية،هذه المجالات جميعها سيغطيها الفكر الإسلامي. صلح الإسلام أن يكون منهج حياة شاملا متكاملا، منهجا يشمل الاعتقاد في الضمير و التنظيم في الحياة، بدون تعارض بينها ،بل في ترابط و تداخل يعز فصله[1]. أي سعته و فاعليته التي تجعله قادرا على استيعاب جميع نواحي الحياة، بما فيها النواحي التي تستجد بمرور الزمن[2].

يقول.د.الترابي في معنى الشمول:"ينبغي أن نحدث ثورة في تجديد فقهنا أو فكرنا الديني لنستدرك هذه المتأخرات عبر القرون الطويلة، ولنضفي روح التدين على كل هذه القطاعات الجديدة من الحياة التي لا حكم اليوم للدين فيها.

[1] المرجع السابق،ص 109.

[2] علي مؤمن:الإسلام و التجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر،ص 23.

قد يعلم المرء اليوم كيف يجادل إذ أثيرت الشبهات في حدود الله[1]،ولكن المرء لا يعرف اليوم تماما كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة،أو يعبد الله في الفن.كيف تتكون في نفسه النيات العقدية التي تمثل معنى العبادة ثم لا يعلم كيف يعبر عنها عمليا بدقة.

التوازن :

خاصية التوازن في الفكر الإسلامي هي التي تجعله فكر لا يجنح إلي احد طرفي النقيض فهي التي توازن بين مصادر المعرفة من وراء الغيب و الشهادة بحيث تجعل المسلم لا يشترط في استيعابه لعالمي الغيب و الشهادة.وعن طريقها يتواز المسلم بين الخوف والرجاء فهو كما يقرأ قوله تعالى"**واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب"(البقرة196)**و قوله" **ان الله بالناس لرؤوف رحيم"(البقرة143)**

عن طريق التوازن أيضا يعبد المسلم ربه بعيدا عن التطرف و الرهبانية أو إهمال ما يجب أن يقوم به من تكاليف،ليتخذ بين ذلك طريقا متوازنا يؤدي ما عليه من فرائض،ويستطيع من سنن دون إفراط أو تفريط.

و يكون التوازن في الإنفاق،بحيث ينفق المسلم وهو يراعي جانب الاتزان قال تعالى "**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا"الإسراء29**

يأتي التوازن أيضا ضمن خلق الكون والاتساق الذي ينتظم الحياة قال تعالى" الذي خلق سبع سماوات طباقا **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور"(الملك3)**[2].

[1] د الترابي:قضايا الفكر،ص 96.

[2] المرجع السابق،ص 90.

يذكر الدكتور الترابي إن الفقه الإسلامي بدأ حيا باتحاد العقيدة و الشريعة أي الباطن بالظاهر،واتحاد المعاني و المقاصد مع صور الشعائر و العبادات، ولكنه ما لبث أن جنح إلى التطرف دون آخر،كما اهتم بالشكل و المظهر وترك الجوهر أو العكس،ووجه التجديد هنا يعني بالضرورة أن يتكامل الانسجام ويتواصل كما كان. وقد بدأ الفقه الإسلامي فقها حيا تتحد فيه العقيدة و الشريعة و تتحد فيه المعاني و المقاصد مع صور الشعائر والعبادات

ولكن ظروف تطور طرأت عليه فأدخلت فيه كثيرا من مظاهر الشكلية وبذلك احتاج تاريخ الفقه الإسلامي وتاريخ الدين ودائما في دوراته إلى حركات تجديد و تقويم.إن وجدته موغلا في الباطنية والعقائدية استدعى الأمر أن يحدد أمره بتكثيف وسائل التعبير عنه لان النفوس لا يمكن أن تمتلئ بالإيمان دون أن تفيض به في واقع الحياة أشكالا وأعمالا،ولابد للفقهاء من رسم تلك الأشكال و القوالب وعمران واقع الحياة تعبيرا عن العقيدة التي تعمر بها الصدور.

إن التوازن الذي يتحدث عنه د.الترابي بين الشكل و الجوهر،هو نفس التوازن الذي تحدث عن ضوابط بنظام التي تحكم الفكر حتى لا يصبح فوضى.فالمطلوب التوازن هنا بين الضوابط المنظمة والطلاقة وكذلك تدور على الفكر دورات التنظيم و الطلاقة،فلابد من أن يتوازن في كل فكر ضوابط النظام التي تحكم الفكر من أن يصبح فوضى،ودواعي الطلاقة التي تعصم الفكر من أن يتجمد[1].

كما يتعامل الفكر الإسلامي مع مختلف القضايا بصيغ متوازنة، سواء أكانت في الموضوعات أم في المناهج، كالتوازن بين العمق والوضوح، والدين و الدنيا والنظرية و التطبيق[2]، حيث يحدثان يتسع

[1] المرجع السابق،ص 91.

[2] علي مؤمن:الإسلام و التجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر،ص 23.

الاجتهاد و تتفرع شعاب المذاهب الفكرية و تكثر الآراء المختلفة حول مختلف المواضيع بذلك يجب الضبط والتوازن.

الواقعية: الواقعية خاصية من خصائص الفكر الإسلامي، وأي فكر لا يتفاعل مع الواقع هو بالضرورة فكر مثال لا مجال له في عالم التطبيق.لذلك كان الفكر الإسلامي واقعيا يعبر عن الوجود بواقعية على مستوى الكون المرئي،كما أن نظام العبادة هو الآخر واقعي يستطيع البشر ممارسة العبادة خلافا لبعض الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن أدائها، وان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها قال تعالى:" **لا يكلف الله نفسا الا وسعها"(البقرة285)**.

هذه الواقعية لا تقتصر فقط في مجال المحسوس و العبادة المفروضة بل تتجاوز ذلك حيث أن الخصام بين الواقع الطبيعي و العلم الشرعي لا أصل له بمعايير الإسلام، ولابد لنا أن نحرر العلوم الطبيعية،ونربطها بالدين رباط العالم بالعلمين معا،ومن ثم نستطيع أن نواكب العصر مجددين للدين ،فالعلم الطبيعي والعلم الشرعي فرعان من علم الدين ينبغي أن يتناصرا وان يتحدا ليتوحد العلم كله،و يوجه إلى الله تعالى ويسخر لعبادته فوق الأرض، ولكن لما اقتصر علمنا في عصر من العصور على النقل تأخر فينا علم الطبيعة،حتى استيقظنا على صراعات الغزو الفكري الأجنبي،ووردت إلينا علوم الطبيعة اليوم، وهي تحمل روحا تجافي الدين،مرده إلى الصراع بين علوم الدين و علوم الطبيعة،أو بين رجال الدين ورجال العلم في اروبا..لا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم علوم الشريعة بأدوية الشريعة،ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة و بأدويته السريعة،فلابد لك من تشخيص المجتمع دراسة

اجتماعية واقتصادية،و أن تدرس البيئة الطبيعية دراسة فيزيائية وكيميائية حتى نستطيع أن نحقق الدين بأكمل ما يتيسر لك[1].

ورؤيته هنا أن التجديد في الفكر الإسلامي لا يتم بمناي عن الواقع العلمي و الدراسة للمجتمع، بحيث يراعي الفقيه الظرف الاجتماعي،و الاقتصادي و البيئة و دراستها دراسة فيزيائية و كيميائية[2]،ومن ثم يستطيع الفقيه أن يصدر حكمه وفقا لما تترتب عليه محصلة هذه الدراسة أن الدين نفسه لا يقوم إلا بتكامل العلوم الشرعية و الطبيعية.

مستقبل الفكر الإسلامي:

يرى بعض من يعملون في حقل الدعوة الإسلامية أن الفكر الإسلامي بخير وان مد الغزو الفكري قد انحسر ومن هؤلاء د-محمد سعيد البوطي" انحسار معظم الشبهات الفكرية و العلمية المختلفة التي كانت تغشى إلى وقت قريب على عقول كثير من الناشئة و المثقفين في طريق إقبالهم على الإسلام،إذ كان يدفع بها إليهم أناس احترفوا الغزو الفكري"[3].

هذا التفاؤل قد يكون في مكانه إذا نظرنا حولنا نرى أن مد الصحوة الإسلامية بدأ يشق طريقه بكل ثقة وينفض غبار سنين جمود الفكر، حيث نجد تجديد الفكر الإسلامي احد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها هذه الصحوة[4].

---

[1] د الترابي:قضايا الفكر،ص 95.

[2] د شوكت محمد عليان:الثقافة الإسلامية و تحديات العصر،دار الشروق،الرياض،ط1،1996،ص 38.

[3] د محمد سعيد البوطي :هكذا فلندع إلى الإسلام،مكتبة الفرابي،دمشق،دت،ص 4.

[4] المرجع نفسه،ص 5.

لعل ثمرة هذه الصحوة أن تتلاقح الأفكار سواء على مستوى الجماعات الإسلامية و الأحزاب، أو على مستوى الأفراد و المؤسسات الرسمية و الشعبية ويتم التنسيق دفعا للفكر الإسلامي، وهذا ما أشار إليه طارق البشري في مقاله تحت عنوان"الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر.

إن ايجابيات الاتجاهات المختلفة وفقا لما يمكن بعضها ببعض لتتراكم في إدراك الأمة،كأدوار متنوعة في نسق واحدمنتظم[1]،و أن التنوع مطلوب والكثرة نافعة متى أمكن نظم وظائفها لتجيب على الوجوه المتباينة للواقع الحال بتعقيداته و تنوعاته فيعين بعضها بعضا،ويصوب بعضها بعضا بغير تناف.

كذلك مما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفكر الإسلامي هو أوبة بعض المتعربين إلى حظيرة الإسلام حيث تبين لهم خواء الفكر الذي لجئوا إليه – ولعل هؤلاء –يمثلون خير من يعيد الثقة إلى المسلمين في فكرهم الإسلامي ، فرغم الإمكانات الهائلة التي سخرتها السلطات الاستعمارية لدعم تيار التغريب و رعاية مسيرته ، و التي وضعت مؤسسات التعليم و التثقيف و الأعلام تحت هيمنة نظرياته و رجاله .. ورغم الحصار وجه به تيار الإحياء و التجديد من أهل الجمود و التقليد ومن المتغربين جميعا إلا أن الواقع الفكري الثقافي بسبب الحاجة الحضارية للمشروع التجديدي وبسبب إفلاس أهل التقليد وعجزهم عن تقديم المشروع الحضاري،وبسبب فجاجة الرؤى المتغربة والرفض التلقائي والطبيعي الذي تقابل به من عقل الأمة ووجدانها ،بسبب هذه العوامل وغيرها تخلقت في الواقع الثقافي ظاهرة هامة وذات دلالة ملفتة للأنظار ألا وهي :تراجع عدد كبير من الأعلام الذين تغربوا ..وانخراطهم في مرحلة نضجهم الفكري بتيار الإحياء والتجديد[2] ،وقد ذكر منهم الشيخ علي عبد الرزاق ومحمد حسين هيكل .

---

[1] د طارق البشري:الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر،رؤية مستقبلية،مكتبة مدبولي،ط1،1989،ص 175.

[2] محمد عمارة:أزمة الفكر الإسلامي الحديث،دار الفكر، دمشق،ط1،1998،ص 81.

المبحث الرابع: تحديات الفكر الإسلامي.

نشأ الفكر الإسلامي في حضانة الدعوة الإسلامية وجذوره المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتاريخ الإسلامي تبعا من مولد الخلفاء إلى آخر المجددين للفكر الإسلامي ،لتمثل كل هذه المعطيات المرجعية الكاملة لهذا الفكر وهو بذلك لم يكن فكرا مبتورا الأصل له شأن بقية الأفكار الوضعية ، وقد كانت قواعد الفكر الإسلامي الأساسية قد بدأت ونمت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وأن هذه القواعد لم تتغير من بعده و لم تجد أية إضافة إليها فظلت في قيمتها الأساسية كما جاء بها وحي السماء ،وقامت سنن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها وتطبيقها ،إنما جرت حركة العمل من داخل الإطار الذي رسمه القرآن ،ولقد كان نضال المسلمين ضد الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الإسلام ..بمفهوم السنة الجامعة وهزمت جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو الفكري وبقيت الحقائق الأساسية[1].

فان كانت ثمة تحديات واجهت الفكر الإسلامي في بواكير الدعوة الإسلامية وعهدها الأول اثر انفتاحها نحو المجتمعات الأخرى التي لها معتقداتها التي تختلف عن الإسلام[2].

فان تحديات الفكر الإسلامي المعاصرة لا تقل عن التحديات السابقة بل تتفوق عليها في التعقيدات بحكم انتشار العلم ووسائطه وصيرورة العالم قرية واحدة ،كما يمثل الغزو الفكري تحديا آخر للفكر الإسلامي[3] ،حيث ينفث سمومه التي تخالف هذا الفكر وتتناقض مع السلوك الإسلامي.

---

[1] د شوكت محمد عليان:الثقافة الإسلامية و تحديات العصر،ص 38.

[2] المرجع نفسه،ص 39.

[3] المرجع نفسه،ص 40.

فهذه الدعوة تستهدف الفكر الإسلامي لأنها ببساطة تصرف المسلمين عن تراثهم الإسلامي إلى تراث جاهلي ،لا صلة له بالإسلام البتة وتكمن خطورة مثل هذه الدعاوي وأثرها على الفكر الإسلامي إذ علمنا أن كل العالم الإسلامي اليوم يمثل وبدوله الممتدة بقايا لأفكار جاهلية ،وبعودة المسلمين في هذه البلاد إلى هذه الجاهلية فانه لا يبقي للعالم الإسلامي ما يمكن أن يعتنقه من فكر ،وتحت هذه المفاهيم يمكن أن ينعش التراث الشعبي الجاهلي في شكل فلكلور"أدب شعبي" جرت المحاولات لإحياء التراث الجاهلي والوثني تحت اسم الأدب الشعبي ،وهي إحدى المحاولات التي استهدفت التأثير في نصاعة الفكر الإسلامي وروحه الربانية والقرآنية الخالصة بإعلاء تلك الصور الساذجة التافهة عن الأزجال والأغاني والمواويل والأمثال العامية والوثنية البائدة التي تتعارض مع سمو التراث الإسلامي العربي القائم على البيان العربي البليغ والمضمون السامي ،وقد انتشرت هذه الدعوة في السنوات الأخيرة وشملت أقطارا عربية وإسلامية عديدة وخدعت كثيرا من البسطاء السذج في محاولة لإحياء التراث الجاهلي والوثني الذي قضى عليه الإسلام ،لأنه يتعارض مع المفهوم التوحيد الخالص[1].

ومن التحديات التي تواجهها الفكر الإسلامي هو الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تصلح للتطبيق في العصر الحديث لأن الزمن قد تجاوزها ،ليتم لهم بذلك فصل الدين كاعتقاد من الجانب العملي والتطبيقي لمعاني هذا الاعتقاد حتى يصير بذلك الهدف الاستراتيجي الذي يسعى إليه المشككون للنيل من الفكر الإسلامي وذلك بفصله عن الواقع والحياة[2] ،ليصبح شأنه شأن أي فكر وضعي يستخدم فقط لأغراض الديكور أو البرتوكول .

[1] المرجع السابق،ص 44.

[2] د طه جابر فياض العلواني،أدب الإختلاف في الإسلام،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،ط1،1981،ص 154ـ155.

إن التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي تحديات شاملة تشمل كل أشكال الفكر الإسلامي لتصبح سببا في انحطاط الفكر كما عبر عن ذلك د.الترابي وحتى يتم تجديد هذا الفكر فانه يحتاج لعمل كبير ووقفة جماعية "سوى أن تجديد الدين ينبغي أن تقوم به حركة و جماعة واسعة ولا سيما في عصرنا حيث الحياة قد تشعبت وأصبح تجديد الفكر أوسع و أكثر تعقيدا من أن يقوم به رجل واحد مهما كان دوره في التجديد"[1]

يرى د.الترابي أن تمسك التقليد بين بما يرونه فكرا إسلاميا خالصا يعتبر تحديا و مشكلة تقف أمام من يريد التجديد في الفكر الإسلامي إلى مثل هؤلاء تحدث الأستاذ البوطي مذكرا بضرورة تجاوز الصغائر لإحداث نهضة إسلامية حقيقية ،وهو يضرب بذلك مثلا للثورة الفرنسية "لقد قامت الثورة الفرنسية وهي نموذج للثورة الناجحة في تاريخ العالم،فهل تظن أنها حصرت اهتمامها بهذا الشكل الساذج في معالم،الإصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدودها مباشرة؟إنها لم تنجح إلا لأنها نظرت نظرة إصلاحية إلى الحياة الفكرية الإنسانية انطلاقا من القيم و المبادئ الخاصة بها بكل جذورها و جوانبها وتاريخها و آدابها[2].

فان كان د.البوطي يضرب مثلا بفرنسا،و كيف حققت ثورتها اعتمادا على فكرها وقيمها ،فان فكر المسلمين ومبادئهم هي الأحق بإحداث هذه النهضة ويرجع أسباب تخلف المسلمين إلى عدم الاستقرار النفسي و الفكري، الذي تسبب فيه المستعمر لغزوه لبلاد المسلمين " فقد الاستقرار النفسي و الفكري من مجموع العوامل التي تشارك في التسبب في تخلفنا ،فمن الطبيعي جدا أن تثور في حياة الأمم والشعوب أمثال هذه الاضطرابات عندما تمر حياتها الفكرية و الاجتماعية في منعطف كالذي تمر به اليوم

[1] د الترابي:قضايا الفكر،ص 81.

[2] د محمد سعيد البوطي:من المسؤول عن تخلف المسلمين،مكتبة الفرابي،دمشق،دت،ص 70.

في هذا المناخ يتبدد الإشراق الفكري ويزول الاستقرار النفسي، ويذهب الفرد ضحية العشرات التي تتجمع على صفحة الفكر، وهل الأمة أو المجتمع إلا الفرد المتكرر؟فتتكاثف الحجب بينه وبين سبل العلم و الإبداع ويظل دائرا وسط قوقعة التقليد والتمزق والإتباع[1]، ومن التحديات التي يواجهها الفكر الإسلامي كما يرى د.محمد عمارة أن الفكر الإسلامي المعاصر يقع بين غلو الإفراط و التفريط حيث أن السلفيين بنصو صيتهم الحرفية يمثلون احد أطراف النقيض في فهم الفكر الإسلامي بينما تأتي جماعة التفريط العلمانيين لتمثل الطرف الآخر" فهناك النزعة النصوصية الحرفية التي مثلها الحشوية القدماء والتي يمثلها اليوم (السلفيون، النصوصيون، الحرفيون)الذين وقفوا عند ظواهر النصوص رافضين التأويل بإطلاق بل ومنكرين المجاز في النص الديني ومتخذين موقفا غير ودي من الرأي و النظر العقلي في النصوص الدينية، وهناك النزعة الباطنية التي دعت إلى لون من الغلو في التأويل والى تعميم هذا التأويل المغالي،وغير المضبوط بضوابط العربية و ثوابت الإسلام، فزعمت إن لكل ظاهرة باطنا و لكل تنزيل تأويل حتى تجاوزت كل المعاني و الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف[2].

خطورة هذا التحدي للفكر الإسلامي لأنها نابعة من المسلمين هكذا يواجه الفكر الإسلامي المعاصر تيار الأحياء والتجديد[3] ويدخل كل ذلك في فلسفة الحضارة للوصول إلى الفكر الإسلامي.

---

[1] المرجع السابق،ص 48.

[2] د محمد عمارة:النص الإسلامي الاجتهاد و الجمود و التاريخية،دار الفكر،سوريا،ط1،1998،ص 15.

[3] المرجع نفسه،ص 22ـــ23.

الفصل الثاني

المبحث الأول:مفهوم الحضارة لغة و اصطلاحا:

اللغة العربية :يقول معجم الوسيط"الحضارة " بكسر الحاء وفتحها تعني الإقامة في الحضر،و إن مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي في الحضر.

وان الحضارة من حضر نقول حضر فلان ، حضارة،أقام في الحضر والغائب حضورا[1].

وفي لسان العرب لابن منظور:الحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي،و الحاضر هو المقيم في المدن والقرى،و البادي هو المقيم في البادية ويقال فلان من أهل الحاضرة،و فلان من أهل البادية، و فلان حضري/ والحضارة هي إقامة الحضر ،عن أبي زيد الأصمعي يقول:الحضارة بالفتح.

وقال القطا مي:

فمن كانت الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ثرانا؟

و الحضر و الحضرة،خلاف البادية، وهي المدن و القرى والريف وسميت بذلك لأن أهمها حضر والأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار[2].

وفي قاموس المحيط:حضر ضد فعل غاب و الحاضرة والحضارة خلاف البادي[3]، اي إن الحاضر هو المقيم في المدن و القرى و البادي المقيم في البادية.

---

[1] إبراهيم مصطفى و آخرون :معجم الوسيط،اللغة العربية للإدارة العامة للمجتمعات و إحياء التراث،دار الدعوة إسطنبول،1980،ص 180.

[2] أبي الفضل محمد ابن منظور:لسان العرب ،دار بيروت للطباعة و النشر،1978،ص 197.

[3] مجد الدين بن يعقوب:قاموس المحيط،ج1،دار الجيل،بيروت،دت،دط،ص 176.

تاج العروس:الحاضرة و الحضرة و الحضر في المدن و القرى و الريف،سميت بذلك لأن أهلها حضر و الأمصار و مساكن الديار التي يكون لهم قرار[1].

معجم متن اللغة:الحضارة ضد البداوة، و الإقامة في الحضر أخص من ذلك الطباع،مكتسبة من المعيشة الحضر ،و أطلق مجتمع مصر اسم الحضارة على ما يسمى بالفرنسية civilisation واسم التحضير و التمدن على ما يسمى بالانجليزية urbanisation[2].

اللغة الأجنبية:

لفظ الحضارة civilisation مشتقة من كلمة civitas في اللاتينية بمعنى المدينة أو من civis بمعنى مساكن المدينة أو من civils بمعنى مدين أو ما يتعلق بمساكن المدينة، حيث تقوم الحياة عادة من المدن، و يضيف قائلا:culture على أنها مرادفة الحضارة[3].

وقد اختلف معنى الثقافة وتطور كثيرا منذ عرفته الناس ، فاللفظ من ناحية اشتقاقه اللغوي مأخوذ من اللاتينية ،يراد به:إصلاح الشيء و تهذيبه و إعداده للاستعمال ومن هنا قالوا: agi culture أي إصلاح الأرض و زراعتها و إن الثقافة فن تهذيب العقل بعد إن كان اللفظ يتصل بفن تشذيب الأرض و الزرع ،و من ثم فان لفظ culture يفيد طريقة شعب ما و مجموعة أنظمته و نظرته إلى الحياة و الكون[4].

---

[1] محمد مرتض الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس ،مجلد3،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1978،ص 146.

[2] أحمد رضا:معجم متن اللغة،موسوعة لغوية حديثة ،ج2، بيروت،1988،ص 111.

[3] سليمان الخطيب:أسس مفهوم الحضارة في الإسلام،المطبوعات الجامعية الأولى سنة ،1994،ص 03

[4] المرجع نفسه،ص4.

لفظ الحضارة من حيث الاصطلاح[1]:

بعد أن تناولنا لفظ الحضارة من حيث اللغة ، نحاول الأنا التعرف على معنى الاصطلاحي للفظ.فعندما نقول "حضارة "بالمعنى الواضح أو الواسع فنعني بهذا جميع الجوانب .

فتناول مالك بن نبي الحضارة تناولا أكثر شمولية و تغطية لها ،من جهات تركيبها و تكوينها ووظيفتها و تطورها تاريخيا و اجتماعيا ، و كان ابن نبي يرفض أن ينظر للحضارة من وجهة نظر انتروبولوجية ويفضل تناولها من وجهة نظر وظيفية فيقول عنها:"مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه"[2].

وكذلك كما يعرفها مالك بن نبي الحضارة في الواقع أنها جملة العوامل المعنوية والمادية إلي تتيح لمجتمع ما إن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات اللازمة لتطوره[3].

والحضارة في مفهومها العام هي ثمة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ،سواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية ،و هذا المفهوم مرتبط بالتاريخ لأنه هو الزمن ،و هذه الثمرات تحتاج إلى زمن لكي تطلع ، فهي نتاج جانبي للتاريخ[4]أي أن ثمر الزرع يطلع بفعل الزمن إذ لا

---

[1] آمنة تشيكو:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرنولد توينبي،المؤسسة الوطنية للكتاب،ص 111.

[2] مالك بن نبي:القضايا الكبرى،دار الفكر،دمشق،1991،ط1،ص 43.

[3] مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر،دمشق،ط1،الجزائر،ص42.

[4] حسين مؤنس:حضارة عالم المعرفة،ط2،1998/09،العدد 237.

يمكن أن تزرع و تحصد ثمرة في نفس الوقت، فان ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان.

و الحضارة في علم الأنتربولوجيا تتنوع من وجهات نظر مختلفة و يتم ذلك بطريقتين:

أولا:التعريف الجامع الذي يحتوي على معنى culture تتوارثه من تقاليد اجتماعية شاملة للجنس البشري، مثل التعريف التقليدي الذي أبرزه الانتروبولوجي تايلورسنة1871 "أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة و العقيدة و الفن و الأخلاق و القانون والعادات الاجتماعية وكل القدرات الأخرى التي يكسبها الإنسان باعتباره عضو في جماعة"[1].

ثانيا:التعريف الذي يشير إلى التصور الفردي أو النسبي للثقافة، انه يحدد مفهوم الثقافة بالنسبة للإنسان ،فردا أو جماعة في كلمات الانتروبولوجي الأمريكي كلايد كلاك هون وكيلي في " أن الحضارة تعني نتاج تاريخي لتنظيم المعيشة و ذلك من خلال مشاركة الجماعة ،فتتصور الحضارة يكتمل بلغة الجماعة" التي تنتمي لها ،و كذلك تقاليدها و عاداتها وما تحتويه أفكارها و الاعتقادات و القيم وما يتضح من خلال وسائلها المادية،و أنماط الفن المختلفة[2].

وتعترف دائرة المعارف الأمريكية بصعوبة لفظ الحضارة،وأي مناقشة لتوضيح هذا اللفظ ينبغي أن تبدأ بتعريفه ،فأ حيانا يشير لفظ civilisation إلى النظام الذي يوجد في المواطن الذي يملك الوسائل الجيدة و التحكم النفسي ،و ذلك هو الإنسان المتحضر،وبهذا المعنى فان كتاب القرن

[1] سليمان الخطيب:أسس الحضارة في الإسلام،ص 27.

[2] المرجع نفسه،ص 25.

التاسع عشر استخدم لفظ الحضارة للتعبير عن التقدم عالم المعرفة و الإبداع المتصف بالخسارة و الذي يسمح للإنسان أن يسلك السلوك الحضاري[1].

وفي دائرة معارف القرن العشرين: الحضارة عند علماء الاجتماع تعني الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم، تحت تأثير العلوم و الفنون الجميلة والصنائع الجميلة لهذه الحالة[2].

بالإضافة إلى كل هذه التعاريف فإننا نجد الحضارة عند المحدثين بمعنيين احدهما موضوعي والآخر ذاتي مجرد.

أ-**المعنى الموضوعي**:هو إطلاق لفظ الحضارة على جملة مظاهر التقدم الأدبي و الفني والعلمي و التقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة ولكل حضارة نطاقها وطباعها ولغاتها ،فنطاقها هو حدودها الجغرافية و طباعها هو آثارها المتراكمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات ولغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية و التاريخية والعالمية و الفلسفية.

ب-**المعنى الذاتي المجرد**: أما الحضارة بهذا المعنى فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية و التوحش أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند عليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة ،فإذا كان الفرد متصلا بالخصال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية ،و قلنا انه المتحضر ،وكذلك الجماعات فان تحضرها متفاوت بحسب قربها من هذه الصورة الغائية للحضارات المختلفة باختلاف الزمان أو المكان ،فان اختلافها لا يمنع اشتراكها في عناصر

---

[1] المرجع السابق،ص 28.

[2] آمنة تشيكو:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرنولد توينبي،ص 17ـــ18.

واحدة وتتألف هذه العناصر في زمانها من التقدم العلمي و التقني و انتشار أسباب الرفاه المادي ،و كعقلانية التنظيم الاجتماعي و الميل إلى القيم الروحية و الفضائل الأخلاقية[1].

فالكلام عن الحضارة بهذا المعنى لا يخل من التقويم و التقرير أي من الحكم على الحضارات بنسبها إلى المثل العليا المتطورة في الأذهان ،و يدل هذا التطور على اتجاهها إلى الاشتراك في عناصرها المتشابهة لسرعة انتقال الأفكار و الأشياء من إقليم حضاري إلى آخر.

خلاصة القول:

الحضارة هي البناء الأساسي في تفوق الشعوب ، إذ هي تعاصر الأزمنة

و تلائم الناس جميعهم فيما لهم من معان و قيم إنسانية، فالحضارة هي تجسيد للنشاط العقلي و التطور الفكري لدى الإنسان في مختلف نواحي الحياة ،سواء كان ذلك في إسهام النظر أو تطبيق في أسرار الكون.

فالحضارة على هذا الأساس هي حصيلة تفاعل تراكمي متكامل للجهد الإنساني مع سنن الله في الآفاق و الأنفس و الهداية و التأييد، فمالك بن نبي يتحدث عن الحضارة كشروط موضوعية تتيح للمجتمع و الأمة القدرة على التحكم في سنن و قوانين مواجهة التحديات و تلبية حاجات التوازن و المواكبة و المنافسة و الريادة الحضارية،أكثر مما يتحدث عنها كمنتج أومنجز اجتماعي

[1] المرجع السابق،ص 19ـــ20.

معيش[1]،ولا شك أن يعطينا منهجا في تفكير الرجل و منهجه هو العناية بالبعد التحليلي التفسيري التركيبي.

لفظ الحضارة في القران الكريم:

لا يوجد في القرآن الكريم في مقابل البداوة و الترحال إلى حاضرة أو متحضرة يقول الله تعالى"

واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر "(الاعراف163).

فهل يمكن أن نلتقي في القرآن الكريم بصيغ و مفردات يمكن أن نعتمدها للتعبير عن المسألة الحضارية، حيث إن القرآن جاء لمخاطبة العرب بلغتهم الراهنة ومن خلال مفرد اتهم الشائعة؟.

يرى سليمان الخطيب أن الحضارة-طبقا لرأي توينبي- ميدانا للدراسات التاريخية[2]

المبحث الثاني :الدورة الحضارية و أطوارها:

يؤمن مالك بن نبي بنظرية الدورة الحضارية التي يرى أن ابن خلدون هو أول من توصل لها و استنبط فكرتها عن (الأجيال الثلاثة)[3].

وهذه الدورة الحضارية ،التطورية تمر بها كل حضارة في التاريخ وليست مختصة بالحضارة الإسلامية فقط[4]

---

[1] الطيب برغوث:محورية البعد الثقافي في إستراتجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،دارقرطبة للنشر و التوزيع،ط2،2004،ص 28.

[2] سليمان الخطيب:أسس الحضارة في الإسلام،ص 37

[3] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ترجمة عبد الصابورشاهين،دارالفكر،دمشق،2002، ط1 ، 1986 ،ص 24 .

[4] المرجع نفسه،ص 27.

فالحضارة كما يرى مالك بن نبي هي عبارة عن وحدات متشابهة و غير متماثلة ، تظهر هنا وهناك متنقلة من مكان الآخر و من شعب الآخر فهي تنتقل و تهاجر من مكان الآخر و تبقى حية لا تموت ، فإذا أنهت دورتها الحضارية في مكان ما انتقلت إلى مكان آخر لتبدأ دورتها الحضارية فيه من جديد طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد[1]. .وكل دورة حضارية عند مالك تختلف عن سابقتها ولاحقتها، فهي محددة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين ، و هي تهاجر وتنتقل بقيمها و مثلها إلى مكان آخر ، و هكذا ستمر[2] الحضارة في هجرة متواصلة لا نهاية لها لتتركب من جديد من الإنسان و التراب والوقت إن للدورة الحضارية نقطة صفر تنطلق منها وهي البداية لها ونقطة نهاية تتوقف و تنتهي عندها ،فنقطة الصفر التي تنطلق منها هي الحالة السابقة على الحضارة ،وهي المرحلة التي تكون القيم الاجتماعية فيها لم تصبح واقعا بعد ،ولكن تكون هناك بذرة عالم الأفكار كاملة تحتوي على كل المقومات الحضارية كما تحتوي نطفة على كل العناصر العضوية والنفسية المساهمة في تركيب الكائن المقبل[3]

وفي هذه المرحلة يكون الإنسان فطريا في حالة سابقة للحضارة .أما نقطة النهاية

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ترجمة عبد الصابور،دار الفكر،دمشق،1981،ص 37.

[2] مالك بن نبي:شروط النهضة،ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصابور شاهين،دمشق،دار الفكر،1986،ص 49.

[3] المرجع السابق،ص 51.

يكون الإنسان فيه فاقد طاقته الروحية والعقلية واستقرار في حالة تفسخ حضاري ويدخل في حالة ما بعد الحضارة[1] وهنا يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما كي يتجدد من نقطة جديدة وفي دورة جديدة[2]

أطوار الدورة الحضارية :

الطور الأول :هو ما يطلق عليه مالك بن نبي مرحلة الروح إنها بداية المرحلة الفكرة الدينية التي تجد الإنسان الفطري بكل غرائزه كما وهبته إياها الطبيعة ،فتتولى تنظيمها وترويضها وليس القضاء عليها وفي هذه المرحلة يتحرر الفرد من قانون الطبيعة المفطور في جسده ويخضع لمقتضيات الروح التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه[3] وهنا يمارس الإنسان حياته الجديدة حسب قانون الروح وتخضع مرحلة الروح هذه في كل دورة حضارية خضوعا كليا للفكرة الدينية ونظامها[4] وتصبح للروح السيطرة الكاملة والمطلقة على جميع الخصائص والملذات الإنسانية[5]

ويفسر مالك بن نبي الطور الأول من أطوار الدورة الحضارية أو كما يسميه بالمرحلة الروحية " يفسرها بطريقتين أولا بلغة علم الاجتماع فيقول عن هذه المرحلة :إنها تتفق مع شبكة العلاقات الاجتماعية حتى تكون في أكثف حالاتها ،لا في أكثرها امتدادا "[6] هذه الكثافة هي ما توحي به

---

[1] المرجع السابق.ص 70.

[2] بن إبراهيم الطيب:مالك بن نبي وابن خلدون،مواقف وأفكار مشتركة،دارمدني،ص 142،نقلا عن مالك بن نبي،دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين،ص28.

[3] مالك بن نبي:شروط النهضة،ترجمة عمر كامل مسقاوي،وعبد الصابور شاهين،ص 67،

[4] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 104.

[5] المرجع نفسه،ص 37.

[6] المرجع نفسه،ص 70

عبارة "البنيان المرصوص"في قوله تعالى"**ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص "سورة الصف** 4.

ويفسر هذه المرحلة مرة أخرى بلغة علم النفس فيقول عنها" إنها تتفق مع المرحلة التي تكون الفرد خلالها في أحسن ظروفه ،وتكون طاقته الحيوية في أتم حالات تنظيمها"

وتعتبر هذه المرحلة بمثابة العصر الذهبي لأي نجتمع لأوج ازدهاره حفظ بل لأن قواه كلها في حركة دائمة صاعدة [1]

إن بداية المرحلة الأولى من الدورة الحضارية حسب مالك بن نبي تكون بدايتها دينية تشكل خطا تصاعديا من القاعدة إلى القمة مطبوعة بطابع ديني بحث تسوده الروح

وقد تمثلت المرحلة في الدورة الحضارية الإسلامية في مرحلتها الأولى منذ لحظة نزول كلمة "اقرأ" في غار حراء على محمد صلى الله عليه وسلم ،لتمتد إلى غاية موقعه صفين بين علي ومعاوية سنة 38هـ.

الطور الثاني :يمثل هذا الطور المرحلة الثانية من الدورة الحضارية وفيه ،تستبدل سلطة الروح سلطة العقل وتفقد الروح تدريجيا سيطرتها ويتقدمها العقل للقيادة والسيطرة على جميع الخصائص والملكات[2]

ويصبح زمام الأمور بيده ،وهنا يبدأ التوسع العقلي الذي تعرفه كل حضارة ويبدأ في الانتشار ويتمثل ذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية بالمرحلة الممتدة ما بين موقعه الصفين سنة 38هـ

[1] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 52.

[2] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 37.

ويستمر إلى غاية عصر ابن خلدون ،ظهر في هذه المرحلة العلماء والأدباء والمفكرون والمخترعون أمثال "الفارابي" "ابن سينا" "أبي الوقاد" "ابن رشد"...الخ وابن خلدون .

وعرفت هذه المرحلة أيضا خروج الحضارة الإسلامية من عمق التقرير كقوة دافعة إلى سطح الأرض تنتشر أفقيا من شاطئ الأطلنطي أي حدود الصين[1]

إن الطور الثاني من الدورة الحضارية عند مالك بن نبي يمثل مرحلة التوسع العقلي وفيه تبلغ شبكة العلاقات الاجتماعية لأي مجتمع أوسع امتدادها ،كما تبدأ النقائص والشوائب تطفوا على السطح ويستبدل مالك على ذلك بالمجتمع العباسي في المشرق ،وبالمجتمع الأغلبية بالمغرب ،ورغم ذلك يواصل المجتمع نموه وحركته ،لكن قواه لا تكون كلها في نطاق الحركة[2]

إن مرحلة العقل هي المرحلة الثانية من الدورة الحضارية الإسلامية في نظر ابن نبي ،وهي تمثل خطا أفقيا مستقرا يأتي مباشرة بعد الخط الصاعد الذي كانت تمثله مرحلة الروح هذه الأخيرة تصبح في هذا الطور لا تسيطر على الغرائز التي تتحرر من قيودها وتبدأ الروح في فقد نفوذها على الغرائز تدريجيا ،فيلاحظ انخفاضا في مستوى أخلاق المجتمع ونقصا في الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية ،وأن هذه الفكرة تظل مواصلة لنقصانها منذ أن دخلت الحضارة متعطف العقل[3]

[1] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 53.

[2] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 71.

[3] المرجع السابق،ص 69.

الطور الثالث :إنها المرحلة الخيرة من مراحل الدورة الحضارية ،ويمثل طور الأفعال النازل عكس طور النهضة الصاعدة ،ويفصل بينهما طور انتشار الحضارة وتوسعها[1] وهو يعني هنا أنه الطور الأخير من أطوار الدورة الحضارية .

إن هذا الطور يمثل مرحلة الانحطاط وسيطرة الغريزة واختفاء العقل وتبدد آثاره ،" لم تعد عناصر الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة وتصبح عناصر خامدة ليس لها قيمة بينها صلة مبدعة "[2] فتتفسخ شبكة العلاقات الاجتماعية وتسود الفردية وتتفكك الغرائز ولا تعمل شكل منسجم ويختل نظام الطاقة الحيوية ويفقد قيمته الاجتماعية ،إنها مرحلة الانحطاط التي هيأت في المجتمع الإسلامي القابلية للاستعمار[3].

إن الطور الثالث بالنسبة للحضارة الإسلامية يمثل فترة ما بعد ابن خلدون التي عمتها الإحباط والسقوط والتخلف ،الذي خلفته عوامل نفسية أحط من مستوى الروح والعقل وانطلاقة الغرائز الدنيا من عقالها لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية[4] ومن ثم تعد هذه المرحلة هي الخاتمة لخلوها من العقل والروح والتجارب التاريخية العامة تؤكد أطوار الحضارة هذه ،أنها قاعدة عامة لا تشق عنها أي حضارة .

---

[1] المرجع السابق،ص 66.

[2] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 27.

[3] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 71.

[4] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 53.

انه طور الغريزة التي تكشف فيه عن وجهها تماما بعد انتهاء الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية ويسود المجتمع ويبدأ الدخول في ليل التاريخ وهنا تنتهي دورة الحضارة[1] وهكذا نكون في هذا الطور إزاء علم بعثته الدوافع النامية عن الفكرة الدينية وأشرق به أنوار الحضارة غير أنه إذا انتهت دورتها فقد جرفته والفوضى واستحال إلى العدم[2] دورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة ،أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين

كما أنها تنتهي حينما يتفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة والمكبوحة الجماح .

المبحث الثالث:البناء الحضاري :

لا يمكن أن نتصور وجود بناء أو تركيب حضارة ما خارج المكان و الزمان ، فكل حضارة بالضرورة إلا ولها مكان وزمان معين ، فالمكان هو مجالها الحيوي ، والزمان هو عمرها الذي تعيشه يطول أو يقصر ، ولكن الحضارة ليست موجودة طبيعيا كباقي الموجودات الطبيعية التي تظهر أو توجد في الطبيعة تلقائيا ، بل هي موجود إنساني يشترك مع ما هو موجود في الطبيعة في المكان والزمان ، فلولا الإنسان لما كان لها وجود ، لذا فالحضارة عند مالك هي إنسان وتراب ووقت و هي العناصر الأساسية لبنائها ، لكن هذه العناصر غير كافية ، وإلا لظهرت الحضارة تلقائيا أينما كانت هذه العناصر الثلاثة مجتمعة .

[1] المرجع السابق،ص 70.

[2] المرجعالسابق،ص 71.

إذا فوجود الحضارة مرهون بما يسميه مالك بوجود عارض أو بمعنى آخر ظرف استثنائي ، وهو الفكرة الدينية و ليس غيرها كغرض التحدي كما يرى توينبي أو التعارض بين قضية ونقيضها كما يرى هيجل[1] ،وبمعنى آخر إن الفكرة الدينية لها دور في البناء الحضاري .

إن عنصر الفكرة الدينية عند مالك هو الذي يبعث الحياة في العناصر الثلاثة للحضارة ولا حركة لها بدونه ،و سواء كانت الفكرة الدينية هي الفكرة الإسلامية أو المسيحية أو حتى فكرة أخرى .

فالتغيير يكون ذاتيا لا يبدأ بتغيير النفس ،والنفس لا تتغير إلا بتغيير الفكر وتغيير النفس معناه أقدارها على أن تتجاوز وضعها المالوف[2] وتغيير وضع النفس هو تغيير للتاريخ[3].

فوجود الفكرة الدينية هو الميلاد الأول للحضارة ،و بداية حركتها في عاملها النفسي هو ميلادها الثاني"إن الحضارة تولد مرتين:

فالأولى ميلاد الفكرة الدينية،أما الثانية فهي تسجيل هذه الفكرة في الأنفس أي دخولها في إحداث التاريخ"[4].

فعندما يشرع المجتمع في حركة تغيير لنفسه من اجل الوصول لغاية فإنها انبثاق حضارة[5].

---

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 50.

[2] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 48.

[3] مالك بن نبي:شروط،ص 32.

[4] المرجع نفسه،ص 55.

[5] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 16

إن الحضارة لا تبنى على أساس غنى المجتمع بما يملك من أفكار و ليس بما يملك من أشياء، فإذا دمر عالم أشيائه و هو عالمه المادي،يسهل عليه إعادة بنائه و العكس ليس صحيحا.

استدل مالك بن نبي على ذلك بألمانيا و روسيا و اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ،و كيف دمر عالم أشيائهم ،لكن عالم أفكارهم بقي و لم يدمر.

إن صناعة التاريخ و بناء الحضارة يخضع لتأثير ثلاثة عوامل رئيسية هي عالم الأشخاص وعالم الأفكار و عالم الأشياء[1]،كما يرى مالك بن نبي أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع يفتقد لأفكار، وله نظرته الخاصة حول الأفكار ، فهو يرى انه لا يمكن تغيير المحيط الثقافي للإنسان ما لم يتم تغيير أفكاره و طريقته في رؤية الأشياء ،و فهم المحيط الذي يعيش فيه،والمجتمع الغني حقا هو المجتمع الذي يملك أفكارا ،لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل مقدار ما فيه من أفكار.

ولذلك دعي مالك بن نبي لتطوير تظم المفاهيم في العالم الإسلامي، وصناعة أفكار جديدة والتخلص من سلطة الأفكار الميتة والقاتلة التي تدمر نسيج المفاهيم لدى الأشخاص[2]

لكن هذه العوامل الثلاثة لا تعمل متفرقة بل متفرقة في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج ايدولوجية من عالم الأفكار" يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها "عالم الأشخاص"

[1] المرجع السابق،ص 34.

[2] د أحمد دكار :تيارات فكرية،كنوز للإنتاج و النشر و التوزيع ،ط1،ص 116.

وان وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة، فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها هي التي تتجسم في صورة" حضارة" وهذا الشرط ستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما يكلف عليه شبكة العلاقات الاجتماعية[1].

لذلك يرى مالك بن نبي أن شبكة العلاقات الاجتماعية اللازمة لأداء العمل الاجتماعي المشترك ليس نتيجة أولية تستحدثها العوامل التي يتكون منها مجتمع معين ،بل هي نتيجة الظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها.

فالتاريخ إنما يبدأ في الواقع قبل إن تتكون العوالم ، كما انه قد ينتهي أحيانا ، بينما المجتمع غني بما فيه من أشخاص و "أفكار" ."وأشياء" كما قد حدث للمجتمع الإسلامي أيان أحوله ، أي عندما نجم في تطوره مركب القابلية للاستعمار ، لقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك غنيا ، و لكن علاقاته قد تمزقت[2].و لذلك قرر مالك بن نبي أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تعمل في التاريخ الأول الذي يقوم به ساعة ميلاده ، فقد كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين المهاجرين والأنصار.

ومن هنا يؤكد مالك بن نبي على أن جوهر البناء الحضاري ينطلق من الفكر ،لذا فالحضارة هي التي تلد منتجاتها ولا يمكن بناء حضارة بشراء منتجات حضارة أخرى أي أن بناء حضارة ليس معناه بناءها بتكديس وسائل حضارة أخرى فالقضية ليست بفقدان كم من الوسائل والأشياء بل القضية هي فقدان كم من الأفكار النيرة ببدل الاضطلاع بحضارة قمنا بتكديس منتجات

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 24.

[2] المرجع السابق،ص 25.

حضارة أخرى وكانت كل السنوات الماضية سنوات تكديس وليس سنوات بناء ،والفرق بين العالم الإسلامي الذي فشل في محاولات بناء حضارته ، فالعالم الإسلامي بني قاعدته على منتجات حضارة بينما اليابان بني قاعدته على قاعدة الحضارة[1] ،وهذا يرجع إلى عنصر التحدي الموجود عند الإنسان الياباني وما يملكه من أفكار .

المبحث الرابع: عناصر الحضارة :

يرى مالك بن نبي أن أي حضارة تقوم على عناصر ومكونات ،وأول ما يجب أن نفكر فيه عندما نريد أن نكون حضارة هو التفكير في عناصرها تفكيرا تفاعليا كيمائيا ،وهذا مفهوم قائم على منهجية دقيقة في التحليل لها آلياتها وتقنياتها وهي منهجية لتفكيك فتحليل الحضارة أي مكونات هو بناء في نظر مالك بن نبي وليس تكديسا وبتحليلنا للحضارة نجد ها تحتوي على ثلاثة أساسية[2] تكوينها ولا يمكن الاستغناء عن أحدها دون الآخر ،وأي غياب لأحد عناصر الحضارة الثلاثة ،يستحيل وجود التاريخ الحضاري ،فالحضارة عند مالك بن نبي هي إنسان + تراب +وقت .

1-الإنسان:

صحيح أن للحضارة ثلاثة عناصر إلا أن أهم هذه العناصر على الإطلاق هو الإنسان ،فهو الذي بيده مفتاح حركة الحضارة الإنسانية وقوام كل هذا هو العقل وبداخله تبدأ الحركة والتغيير قبل أن تخرج خارج ذاته لتطبق وتعمم في محيطه المكاني وفي إطاره الزماني .

---

[1] مالك بن نبي:القضايا الكبر،دار الفكر،دمشق،ط1،1991،ص 50ـــ54.

[2] د أحمد دكار:تيارات فكرية،ص 118.

إن الإنسان هو الكائن الحضاري الذي ينتج الحضارة وبالتغيير والحركة ،ولا يغير الإنسان التاريخ إلا إذا اعتبر نفسه بينما بقية العناصر لا تغير نفسها إراديا والإنسان لا يغير نفسه إلا إذا غير فكره، فالتغير يجب أن يكون داخليا قبل أن يكون خارجيا وأن يكون جزئيا قبل أن يكون كليا وأن يكون فرديا قبل أن يكون جماعيا ،فلا نغير الآخرين قبل أن نغير أنفسنا."غير نفسك فغير التاريخ "[1] ، وكان ابن نبي دائما يستشهد بقوله تعالى :*إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم* الآية 11 من سورة الحج.

إن الإنسان الذي يتناوله مالك بن نبي والذي يرى فيه أنه أحد أهم عناصر الحضارة ليس هو الإنسان الفرد المكون للنوع البشري ،بل هو الإنسان الاجتماعي وجهده الجماعي المنتج للحضارة فالحضارة ليست منتوج فرد بل منتوجا جماعيا "فالشخص في ذاته نتاج حضارة إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء "[2]

وأن أول خطوة في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فرد عادي إلى أن يصبح شخصا وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع فزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع[3] .

فالإنسان كائن حضاري يتلون بلون الحضارة ،ويلونها بلونه فهي منه وإليه وهو منتجها والمستفيد منها ،وهو المرآة العاكسة لها.

[1] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 32.

[2] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 26.

[3] المرجع السابق،ص 28.

أو العاكسة له ،فهي تقوي بقوته وتضعف بضعفه ،فالتاريخ يبدأ دائما بالإنسان المتكامل وينتهي كذلك بالإنسان المتحلل[1]

ومن جهة أخرى فان الإنسان هو العنصر الوحيد بين عناصر الحضارة والأكثر تشابها بينه وبين الحضارة ،فيمر بنفس المراحل التي تمر بها الحضارة وهو الكائن المعقد الوحيد في تركيبته الاجتماعية والنفسية والثقافية والفكرية والدينية والتاريخية وكذلك للحضارة نفس العوالم ،فلها عالمها النفسي والفكري وعالمها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني....الخ.

فالإنسان يبقى أكثر عناصر الحضارة تلاحما إن نقل هو الحضارة، وعموما سيبقى دائما هو العنصر الأول في بناء الحضارة وتأسيسها[2]

لأنه أكثر بقية العناصر الحضارية وأوحدها تحركا وإبداعا وتحديا، بينما العنصران الآخران بجهده وتأثيره وتحديه لوسطه الحضاري بثلاث مؤثرات رئيسية هي الفكر والعمل والمال[3]

أما العناصر الأخرى فلا تستغني عن الإنسان أو عن ضعفه أو قلته.

إن الإنسان وليس كل إنسان قادر على استخدام بقية العناصر الأخرى وحسن استغلالها واستثمارها ،وهي التراب والوقت لأنه قادر ضمن المسار التاريخي وقادر على صناعة الحضارة لذا "يجب علينا أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى ".

---

[1] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 28.

[2] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 73.

[3] المرجع السابق،ص 77.

فالإنسان عند مالك بن نبي هو واحد بطبعه متعدد بتعدد أوضاعه التي يعيشها ويختلف باختلاف ظروفه السياسية والاقتصادية والتاريخية والاجتماعية والثقافية ،فالإنسان الذي يعيش في أوربا يختلف عن الإنسان الذي يعيش في العالم الإسلامي بسبب اختلاف وضعيهما السياسي و التاريخي ،فالأول من بلاد مستعمرة والثاني من بلاد مستعمرة،فالإنسان الأوروبي يعاني من حركة بناء ،و الإنسان المسلم يعاني من حركة ركود[1].

يقسم لنا مالك بن نبي إنسان الحضارة الواحدة حسب تطوره الحضاري ،و حسب موقفه و بيئته إلى ثلاث نماذج:

-رجل البادية :الذي يقف عند نقطة الانطلاق الحضاري وهنا يتفق ابن نبي مع ابن خلدون في قوله بأن البداوة مرحلة أولى للحضارة أو بمعنى نقطة الانطلاق الحضاري فإنسان البادية مازال محافظ على فطرته و لم تفسده الحضارة، فالإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري[2].

- رجل المدينة: هو الإنسان الذي يقف في منتصف الطريق و عند منتصف الفكرة و لم يعرف كيف يصل إلى هدفه ، إذ هو ليس نقطة الانطلاق كرجل الفطرة ،ولا نقطة الانتهاء كرجل الحضارة بل هو رجل "النصف".

- محترف الثقافة:و هو الإنسان الأناني الذي سخر كل شيء لمصلحته[3].

---

[1] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 75.

[2] -المرجع السابق،ص 70.

[3] آمنة تشيكو،مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرنولد توينبي،ص 127.

فالإنسان دائما في حياته يعيش في صراع مرحلي ، أولى مراحله هو صراعه مع ذاته و نفسه ثم صراعه مع بقية عناصر الحضارة بكل تحدياتها، وذلك لغرض إخضاع محيطه لرغباته و أهدافه ،و لينتصر على تحديات الطبيعة من حوله كالرياح والمياه و الغابة ...الخ،و لينتصر على غيره عليه إن ينتصر أولا في صراعه على عناصر ذاته ،على أفكارها و مشاعرها قبل غيرها[1].

2- التراب :

إن التراب هنا لا نقصد به التراب المنظور له من حيث خصائصه الطبيعية و لكننا نعني بالتراب هنا هو البحث في قيمته الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكية و قيمة أمته و حضارتها[2]، أي باعتباره عاملا من عوامل النهضة الحضارية.

إن قيمة التراب الاجتماعية تظهر من قيمة مالكية و كمية و نوعية إنتاجه و هذا ما يظهر لنا في بلدان متحضرة لها من التراب مساحات ضيقة صغيرة تقل عن غيرها عدة أضعاف، وسكانها أكثر واكبر من سكان بلدان المساحات الواسعة ، و مع ذلك فالأولى مساحته، المساحة الضيقة والعدد الكبير للسكان هي التي تطعم و تموت تلك التي تفوقها مساحة و تقل عنها سكانا، فالسر يكمن في القيمة الحضارية للتراب، و كيف يشتغل كعنصر فعال في البناء الحضاري ، أما المساحات الشاسعة من التراب والعدد الكبير من السكان بلا قيمة حضارية ، فلا قيمة لهم .

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 56.

[2] مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 131 .

فالتراب عند مالك بن نبي هو المجال الحيوي و يعني به ما فوق التراب و ما تحته ، فكيف تتعامل مع ذلك المجال الحيوي و نكيفه و نستغله حسب أهدافها و حاجاتها ، فالبناء الحضاري لا يحتاج فقط لمكان تقييم عليه حضارتها ليحتضنها ، فالتراب بالنسبة لمالك هو مورد ثروة حضارية و كيفية استغلاله هو العامل الحاسم في بناء الحضارة ، فالتربة لا تقاس بمساحتها و لا بعدد سكانها و لا بموقعها بقدر ما تقاس بقيمتها الحضارية المستغلة .

مرة أخرى نعود إلى قيمة التراب التي هي جزء لا يتجزأ من قيمة مالكه ، فان كان مالكه متحضرا كانت أرضه منتجة و قيمتها ثمينة و حدودها محصنة ، وان كان مالكه عاجزا كانت أرضه قفرا لا قيمة لها[1].

فالأرض التي لا تنتج تتحول من ارض خصبة إلى فلاة ،ثم في مرحلة لاحقة تتحول إلى صحراء تؤدي حتما إلى تحول اقتصادي ،فمن حياة زراعية تتحول إلى حياة رعي ،و من رعي تتحول إلى لا شيء[2].

ويستدل مالك بن نبي على أهمية استغلال الأرض و التربة بما كان يحدث في بلده الجزائر من عملية التصحر التي كانت تزحف من الجنوب إلى الشمال و يرى في ذلك ليس مشكلة فقط بل مأساة دامية ،إذ تموت الأرض الخضراء في أهلها ،و تتركهم يتامى بين يدي الصحراء المفقرة[3] .

[1] مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 132 .

[2] المرجع السابق ، ص 133 .

[3] المرجع نفسه ، ص 132 .

كما يستدل على ما حدث بمدينة تبسة التي نشأ بها و يعرفها أدق المعرفة ،و التي كانت مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها مائة و ثمانين ألف ساكن ،فانخفض العدد إلى أربعين ألف ساكن تقريبا في مدة عشر سنوات فقط[1].

إن التراب ليس وحده المتحكم في مصير الإنسان ،فأين دور الإنسان في المقاومة و التحدي و التفاعل مع بيئته و ترويضها و تطويعها و تكييفها حسب أغراضه و أهدافه ،فإذا كان هناك من البشر من سيستسلم و يهزم أمام بيئته ويغادر الأرض التي أصيبت بالجفاف والتصحر و القفر ،فهناك نوع آخر من البشر لا يعترف بذلك حيث يجعل من الضعف قوة ومن الصحراء جنة، ويضرب ابن نبي مثالا على ما قام به الفرنسيون في الجنوب غرب بلادهم التي كانت الرمال تهدد المنطقة و صحة أهلها فهب سكانها لغرس الأشجار خلال مدة عشرين سنة ،فسدوا الطريق على الرمال بين ماديتي"بوردو"و"بيارجيتز" فتحولت المنطقة إلى أول منتج في العالم لزيت التيربنتين و ملجأ صحيا للمرض من جميع أنحاء العالم ،و ليس فرنسا وحدها حققت ذلك بل هناك الكثير من الشعوب التي صنعت من الضعف قوة ومن المستحيل ممكنا و من الهزيمة نصرا[2].

و يعتقد مالك اعتقادا جازما أن الشعب الذي ينتصر على نفسه و على أهوال الطبيعة ،و يخضع التراب له و يمهده لبناء حضارته لم يعد شعبا يخاف نوائب الزمن[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص 134 .

[2] مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 135 .

[3] المرجع نفسه ،ص 136 .

3-الوقت :هو ذلك المخلوق الصامت و العابر بنا و حولنا و الذي لا نسمع له صوتا،و لا نلمس له ركنا، ولكننا نعيش بين أحضانه منذ اللحظات الأولى لوجودنا في هذا العالم إلى غاية لحظات رحيلنا عنه و تركه وراءنا .

إن الزمن عند مالك بن نبي هو الذي بتم تكييفه اجتماعيا و إدماجه ضمن العماليات الصناعية و الاقتصادية و الثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر اطرادات هذه العملية[1] ،و يعتبر امتدادا ضروريا لنمو و اكتمال الاطرادات المتعلقة بعلم الاجتماع[2].

فالوقت عند ابن نبي ثروة ثمينة قد تكون مستغلة و قد تكون مطلقة، و هذه الثروة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي يعاني من أزمة حضارية هي معطلة ،فالوقت هناك في هذا العالم إلى عدم[3].

إن تأخرنا الحضاري يجعلنا نحتاج إلى المزيد من الوقت لنستدرك به ما فاتن ،و كلما استغلينا ذلك الوقت كلما كان ثمينا ،و كلما أهملناه كان رخيصا ،و أصبحنا في حاجة إلى مزيد من الوقت لنعوض تأخرنا،فعلينا كما يقول ابن نبي أن نعلم المسلم علم الزمن وهو كيفية استغلال الوقت كطاقة حيوية و أساسية ،وإذا استغل الوقت فسترتفع كمية حصادنا العقلي و البدوي والروحي ،و هذه هي الحضارة[4].

إن ما ينجز في الوقت الحضاري من أعمال فكرية و مادية يكون قياسيا بالمقارنة لما ينجز في وقت غير حضاري ،فالوقت كالإنسان كلاهما عنصر أساسي في بناء الحضارة و كل منهما يفيدها

---

[1] مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، ص 56 .

[2] المرجع نفسه ،ص 55 .

[3] مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 140 .

[4] المرجع نفسه ، ص 141 .

و يستفيد منها ويعطيها و يأخذ عنها ،و كلما ارتقت الحضارة و ازدهرت كلما كان للوقت أهمية قصوى ،و يصبح ثمينا،لقد أصبح وقت حضارتنا المعاصرة يقاس بالثواني و الدقائق ،وما كنا نحتاج لفعله و انجازه في شهور أو سنوات أصبح ينجز في دقائق أو ثواني .

إن قيمة الوقت أغلى من قيمة المال ،لأن بعض الوقت يعطيك بعض المال ،و أن المال كله لا يعطيك بعضا من الوقت ،و ويستشهد مالك بن نبي على أهمية الوقت في بناء الحضارة بألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية،و التي فرضت على شعبها الزيادة في العمل بمعدل ساعتين إضافيتين لكل فرد يوميا.

كان ذلك بعد خروجها من الحرب العالمية الثانية منهزمة منهكة قواها ،و لم تملك من وسائل البناء و التعمير شيئا غير عناصر الحضارة الثلاثة الإنسان و التراب و الوقت[1].وهذا إن دل إنما يدل على أهمية الوقت و دوره في البناء الحضاري .

وقد فشلت بعض المجتمعات في بناء حضارتها على الرغم من توفرها على جميع عناصر الحضارة ،حيث لا يمكن في عنايتها لمشكلة الإنسان الذي يعني بمشكلة الوقت و التراب ،وإنما يكمن في فقدان هذه العناصر لعنصر رابع و هو العامل الأخلاقي.

المبحث الخامس:دور الفكرة الدينية في بناء الحضارة:

فالبناء الحضاري يعتمد على العناصر الثلاثة للحضارة، الإنسان و التراب و الوقت وهي عناصر ثابتة غير متغيرة لأي حضارة ،و كل عنصر له مهمته بحيث يجب أن تتوفر له شروط و

[1] المرجع السابق ، ص 142 .

خصائص معينة ،و خصائص كل عنصر غير ثابتة ،فهي تتغير بتغير الإنسان و الوقت و التراب ،تتغير بالزيادة و النقصان ،و بالضعف و القوة ،فليس وفرة العناصر فقط تنتج حضارة ،و لكن ما توفر لها من الشروط و الخصائص الضرورية لذلك وإلا تعطلت هذه العناصر عن أداء دورها.

و لكي تتوحد هذه العناصر الثلاثة المتناثرة ،و تبعث فيها الحياة و تنمو و تكون كائنا حضاريا حيا كالإنسان، ويخضع لنفس مقاييس ضعفه و قوته ،و ليتحقق ذلك لابد من توفر الفكرة الدينية التي يعتبرها مالك بن نبي العنصر المازج و المركب لعناصر الحضارة الثلاثة فالفكرة الدينية هي:"التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ "[1]، وليس الحضارة الإسلامية فقط أو التاريخ الإسلامي ،بل كل تاريخ و كل حضارة عرفتها البشرية إلا و كانت ورائها فكرة دينية ،فقوة التركيب و المزج لعناصر الحضارة خالدة منذ القدم إلى اليوم في جوهر الدين[2]،سواء كان الدين سماويا أو غير سماوي ،فالانبعاث و التركيب الحضاري لا يكون إلا بعقيدة دينية منبعثة و يؤمن بها، سواء كانت عقيدة سماوية كالإسلام أو المسيحية أو غير سماوية كالبوذية و البراهمية[3].

إن ميلاد الحضارة عند مالك بن نبي ليس مرهونا لوفرة عناصرها ،لكن الزيادة على ذلك مرهون بفكرة دينية و خروجها للوجود ،فهذا هو الميلاد الأول للحضارة أما الميلاد الثاني فهو دخول الفكرة الدينية في أحداث التاريخ بعد دخولها الأنفس التي أمنت بها و اعتنقتها.

---

[1] مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 46 .

[2] -آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي ، ص 124 .

[3] المرجع السابق ، ص 50 .

ينظر مالك بن نبي إلى العلاقة الروحية بين الله و الإنسان بأنها هي التي تلد العلاقة الاجتماعية بين الإنسان و أخيه الإنسان[1] ،وكلما كانت العلاقة الدينية قوية كلما قلت درجة الفراغ الاجتماعي، وهنا يستشهد مالك بن نبي بقوله تعالى"لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم" (سورة الأنفال 63) وقوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا".

إن هذا هو تأثير الفكرة الدينية الاجتماعية عند ابن نبي[2].

إن الفكرة الدينية دائما هي التي تقوم بتركيب اجتماعي في شكل قيم أخلاقية و عادات و تقاليد و قواعد إدارية و مبادئ تشريعية و غيرها[3] فالدين هو مركب هذه القيم الاجتماعية .

الفكرة الدينية هي التي تخلق الشبكة الروحية التي تربط المجتمع بالإيمانs بالله فيكون الدين يربط أهداف السماء بضرورات الأرض[4].

فالفكرة الدينية عند مالك بن نبي مرتبطة بشروط يجب توفرها في المكان الذي وجدت به، وإلا هجرته إلى مكان آخر لتبحث لها عن تلك الشروط الضرورية كما حدث للفكرة المسيحية التي هاجرت من أرض فلسطين لتستقر بروما ،وهذا خلاف الفكرة الإسلامية التي وجدت في أرض خصبة و قبائل على فطرتها تقبلتها ،بينما الفكرة المسيحية وجدت في أرض شهدت ازدحاما

[1] المرجع السابق ، ص 55 .
[2] مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص 53 .
[3] المرجع نفسه : ص 60 .
[4] المرجع السابق،ص 73 .

ثقافيا و دينيا ،فهاجرت لتنمو في مكان آخر ،و هذه الحالة ترينا أن تأثير فكرة دينية معينة رهن ببعض شروط الجغرافية الإنسانية فإذا لم تجدها في موطنها هاجرت لتجدها في مكان آخر[1].

وإدراكا لأهمية الدين في بناء الدول و الحضارات و لدوره في مزج العناصر الحضارية ،يستشهد مالك بن نبي بميثاق طرابلس الذي وضعته الجزائر فور استقلالها و الذي سجلت فيه أن الإسلام من بين مبادئها الأساسية[2]، وهنا نستنتج أن الإنسان قادر على بناء حضارته لطالما كان متمسكا بالعامل الديني.

[1] المرجع السابق ، ص 54 .

[2] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، ص 62 .

الفصل الثالث

كما أشرنا في المقدمة أننا سنتحدث عن هذه الشخصية بالتركيز على الإصلاح الديني الحضاري لعالم الإنسان باعتباره الركيزة الأساس التي تقوم عليها حضارات البشرية جمعاء، ولكونه الكائن المفضل على سائر المخلوقات حيث كرمه الله و جعله خليفة في الأرض يقول تعالى"

ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"

"(الاسراء70)[1].

وخلافة الإنسان في الأرض في فكر مالك بن نبي هي مسؤولية عظيمة عدها أمانة يجب الاعتناء بها، والحفاظ عليها، و من هنا انشغل بإصلاح هذا الإنسان من جانب إنسانيته، نيته في ذلك تحسيسه بذاته و إعداده لتحمل أعباء المسؤولية مع نفسه و مع غيره لتغيير حاله و محيطه، وبالتالي فاللون الإصلاحي هاهنا هو لون فردي و اجتماعي ،عاما بان الجوانب الإصلاحية عند هذا المفكر فيما كتبه كمشكلات الثقافة[1] وكل ما يتعلق بالحضارة [2]لا ينهض_ في نظرنا_إلا على أساس الإصلاح الفكري الحضاري، و جميع الإصلاحات في فكرمالك بن نبي منطلقها منطلق عقيدي إسلامي [3]كما سنتحدث لاحقا .

يعد مالك بن نبي من بين ابرز المفكرين العرب الذين عرفوا من شتى بحور العالم و أهم ما ميزه عن غيره أفكاره الجديدة في ميدان الإصلاح الفكري الديني عند الإنسان ليعرف ذاته لأنه وعاها و غيره لأنه فهمه. ولعل أهم ما تعرض له مالك بن نبي في حياته الفكرية الإصلاحات التي تقوم

[1] مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،ترجمة عبد الصابور شاهين،دار الفكر،ط4،ص 40_41_42.
[2] مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة د بسام بركة ود أحمد شعبو ، دار الفكر ،ط1 ، 1988 ، ص11_13.
[3] المرجع نفسه : ص 14 _ 16 .

عليها حضارات المجتمعات البشرية في كافة المجالات ومضمونها الذي يتصد إليه هو ما تضمنته من دلالات لمعاني الحضارة بما فيها من دين وبالارتكاز على الإنسان الذي هو صانع كل ذلك، وقد ربط موضوع هذه الفكرة بين التربية والمنهج. فكانت حديثا مطولا حول المنهج التربوي الذي طالما تحدث عنه مفكرنا في كتبه وحتى في ندواته .مستشهدا في كثير من الأحايين بالقرآن الكريم ،إذ يرى أن للتربية مشاكل كثيرة لابد لها من حلول. وقد وفق في إيجاد نظريات تعد منهجية المفضل.هذا المنهج الذي يقوم على أساس التغيير بدءا بالفرد فالمجتمع، حتى تستقيم الحياة[1] "فالتغيير هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة، إنما يوجد حيث لتكون الأشياء صحيحة .وحيث لا تكون الأمور مستقيمة"[2].

وهذا ما جعله يلحق بمن سبقوه في المجال الحضاري ،ويأخذ الطليعة بين ما عاصروه من العرب والغربيين[3].

وتبقى الحلول التي اقترحها مالك بن نبي للمشكلات الحضارية، تأخذ بعدا فلسفيا متميزا عن الفلسفات الوضعية الأخرى ،ذلك أن الحل عنده يستمد وجوده من مصادر التشريع الإسلامي. والأمة الإسلامية لا تستحق الوصف بأنها إسلامية ،إلا إذا إتخذت هذا المنهج أساسا لحياتها كلها[4]. وعليه فمن الخصائص الفكرية الدينية السابقة تتبين أهمية التربية الإسلامية في توجيه الفرد و المجتمع، وفي نسج العلاقة السليمة بينهما "وتتحدد ملامح الحل لمشكلة التربية ،بحل مشكلة

[1] مالك بن نبي :ميلاد مجتمع. ،ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ،لجزائر ،ط3 ،1986، ص 50-53 .
[2] محمود ألخالدي:التفكير بداية الطريق إلى النهضة ،شركة الشهاب،الجزائر ،1986،ص50.
[3] المرجع السابق،ص 95ـ107.
[4] عبد الحليم محمد:مع العقيدة و الحركة و المنهج في خير أمة أخرجت للناس،مطابع جامعة محمد بن مسعود الإسلامية،الرياض،ط1، 1978،ص 60.

الثقافة بكلتيها على أسس إسلامية ،لأن ذلك يحقق الجو و المحيط الذي يناسب العقيدة عند المسلم، الذي يعيش هذه الأيام حالة إزدواجية في الشخصية ،و ضياع بين الروح الإسلامية التي يعيشها لحظات وجوده في المسجد ،أو سماعة لأي حديث أو محاضرة عن الإسلام ،أو قراءة أي كتاب تراثي ،و بين الواقع الإجتماعي الذي لا يطبع سلوكه"[1] من أجل ترسيخ الفكر الديني الإصلاحي نرى مالك بن نبي يسعى الى تغيير السلوك الإنساني في العالم الإسلامي[2]، ويساعد هذا على تحديد الهوية الفكرية المسؤولة كما يساعد على توجيه التربية في البيت و المدرسة و الشارع.

لحلول النظرية في الفكر الديني الحضاري عند مالك بن نبي.

الحلول النظرية التي تطلع إليها مالك بن نبي في إصلاحه الحضاري مستنبطة-غالبا- من آيات قرآنية و أحاديث نبوية ،وأن هذه النظرية هي ذات إطارات ثلاث:

[1] أسعد السمحراني:مالك بن نبي،مفكرا إصلاحيا،دار النفائس،بيروت،ط2، 1986،ص 223.
[2] مالك بن نبي:فكرة كمنويلث إسلامي،ترجمة طيب شريف،دار الفكر،الجزائر،ط2، 1990،ص 71ــ 74.

المبحث الأول:النظرية النفسية:

هذا النوع من التنظير يختص بمنهجية متميزة بخاصتين هما:خاصية التبني، وخاصية الإستنباط.

أ-منهجية التبني:

و قد استنبط أحكامها من الكتاب و السنة ،و يمكن قراءة منهجية التبني من خلال:

ب- طبيعة التكريم :

فالإنسان مكرم بالفطرة مهما كان جنسه أو لسانه أو لونه ،و هذه البصيرة الدينية هي إدراك الحقائق ،جعلت نظرة مالك بن نبي إلى الإنسان خالية من كل شعور بالنقص أو تعال.هذا بخلاف الدراسات الوضعية التي لا تؤمن إلا بالبصيرة العلمية ،حيث تصنف الإنسان ،إما على أساس طبقي أو عنصري فتجرده من خلال طبيعة التكريم التي فطرها عليها[1].

فالإنسان في نظر مالك بن نبي هو سيد بالفطرة ،وأن الغرائز هي التي تجعل منه مسودا في تصرفاته وسلوكاته أي في الحالة التي يكون فيها عبدا لشهواته ،حيث تضيق كل أبعاده الزمانية ،و يصبح إنسانا لا يفكر إلا في وضعه الحالي ،و ليس للزمان عنده أدنى إعتبار ولا للوسط الإجتماعي الذي يعيش فيه أدنى قيمة ،و رغم ذلك فإن مسحة الجمال أو العزة باقية عليه لأنها موضعة في طينته منذ أن خلق ،رغم ما لحق به من ذل سواء كان هو المتسبب فيه بنفسه أو غيره [1] قال: صلى الله عليه و سلم "ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من إبن آدم ،قيل يا رسول الله ،ولا الملائكة

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 60ـ75 .

قال: ولا الملائكة، الملائكة مجبرون بمنزلة الشمس و القمر"[1] فإمكانية الحل أو الانتقال من حالة الهوان إلى حالة العز هي بيد الفرد و مسؤولية ما يقع له من غبن و ذل، واستضعاف تقع على عاتقه ،يقول تعالى "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ،قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا "،إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ،فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفوا غفورا"النساء 97ـ98 ـ99 . وهذا التكريم الرباني للإنسان شامل للجميع مهما كان الإنتماء الجغرافي أو العقائدي ، فهو تكريم يفتح الباب على آمال كبيرة تتعلق بوضع هذا الإنسان ومكانته عند الله وفي التاريخ أي : وضع هذا الإنسان مع التغيير "فالتغيير هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة ، لأنه إنما يوجد حيث لا تكون الأشياء صحيحة وحيث لا تكون الأمور مستقيمة "[2] والتكريم الخاص قد خص الله به عباده المؤمنين يقول تعالى (ولله العزة و لرسوله المؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (المنافقون 8) وان هذه العزة الموهوبة لا تعرض المؤمنين للكبرياء، بل تربطهم بسمو الأخلاق وعلى الهمة ولاتعني البتة المجد التالف الذي يربط بالماديات[3] و من هنا جاءت نظرية مالك بن نبي في الحضارة عبارة عن تعبير فني لفلسفة الإسلام للإنسان،و في هذا المعنى يقول"و في رحلات العرب إبان العصر الذهبي ، مثل رحلات ابن بطوطة و المسعودي،و أبي الفدا، فإننا لا نجد فيما يكتبون عن الشعوب و القبائل

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم،ج3،دار الفكر،بيروت،ط1، 1969،ص 52.
[2] محمود الخالدي:التفكير بداية الطريق إلى النهضة،شركة الشهاب،ط1، 1989،ص 50.
[3] مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص 107ـ 122.

البدائية المكتشفة أية ثرثرة تشوه انسانية هذه الشعوب و لا نرى في اتصالهم بها أي اثر للكبرياء في علاقات الانسان المتحضر العربي إزاء الانسان البدائي[1]، فمن الطبيعة التكريمية للانسان يستقي مالك بن نبي منهجه التربوي الذي يهدف الى بناء حضارة انسانية ،هذه الأهداف التي تكمن إلا في ذات الإنسان ،ووجهته في ذالك رد الاعتبار لهذا الانسان الذي حطت من كرامته فلسفات وضعية[2].

ج ــ نظرية التغيير:

إستقى مالك بن نبي هذه النظرية من قوله تعالى"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"الرعد 11.فآلة التغيير عنده تكمن في النفس الإنسانية وفق الشروط التالية[3].

1ــ مبدأ الاستعداد للتغيير:و يقصد به قابلية التحول من حالة إلى حالة أخرى،و يتطلب هذا وعيا بالوضع الراهن للحالات النفسية و الإجتماعية التي يعيشها الفرد.

2ــ رسم خطة التغيير:رسم الخطة يقتضي أن يكون الوضع المرجو الإنتقال إليه مجددا، و هذا العمل يتطلب حث النفس على بذل الجهد لاكتساب عادة جديدة بالوضع المأمول الوصول إليه، والتخلي عن كل ما يربط النفس بالوضع السابق.

دــ نظرية الوسطية:

[1] مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 127.
[2] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 17ــ 22.
3 ــ مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 31ــ 32ــ 33.

و تربط هذه النظرية إرتباطا وثيقا بالنظريتين السابقتين،وهي نتيجة لهما حيث يدعو من خلالها "إبن نبي"الفرد المسلم أن يكون:

عضوا فعالا في تبليغ ذاته للآخرين،و هي سالمة من كل مركب نقص[1].

ولا شك أنه أثناء هذه العملية تتحقق الوسطية التي ورد في شأنها،قال تعالى"و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا"البقرة 143.

فالبعد الحضاري الذي تبنته نظرية"إبن نبي"يدعو الفرد المسلم إلى الاقتناع بالدور المنوط به،حتى يملأ الفراغ الروحي الذي باتت تتعطش إليه نفسية الفرد المسلم،و قد يتطلب هذا وضع شروط تلزم القائم بجهد التغيير أن يقتنع بها و يجسدها في سلوكه أولا ثم يحملها إلى الآخرين،على أساس أن ما يحمله إليهم هو سبيل نجاتهم و سعادتهم "فالإسلام في نظر جيل مهزوم فكريا،هو مجرد معلومات يجترها في المناسبات"[2].

إن النظرية السابقة تنطلق من مبدأ تنظيم فيه المبادئ و المفاهيم إلى أساليب تربوية تمكن الفرد من آلة التغيير،فأفكار مالك بن نبي تنطلق"لا لتضيق في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه ،أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة،بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تسير بالإنسان خطوة متقدمة"[3].

[1] مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص 145ــ 156.
[2] ــ محمود الخالدي:التفكير بداية الطريق إلى النهضة،ص 135.
3 ــ عمر كمال مسقاوي:نظرة في الفكر الإسلامي و فكر مالك بن نبي،دار الفكر، دمشق،ط3،دت،ص 48.

فالوسائل المعتمدة في التغيير يجب أن يتمكن منها الفرد حتى يقدر على تغيير ما بنفسه من أحوال و محاولة تجاوز وضعها المألوف،مع شعوره بأنه عنصر فعال في المجتمع،و أن المجتمع يحتاجه كل لحظة[1]، وأن إسترداد الأفكار و النظريات غير المؤسسة تبعد الهوة التربوية لدى الأفراد و الجماعات.

ه ــمنهج الإستنباط:

يعد هذا المنهج عند مالك بن نبي بمثابة الدافع القوي الذي يحرك الهمم ،و لهذا المنهج قواعد نذكر منها:

1ــ فعالية الفكرة الدينية:

للفكرة الدينية أثر كبير في بعث النشاط و حشد الهمم و توجيه الأعمال، فالحضارة"لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة و منهاجا،أو هي ــ على الأقل ــ تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام.فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حين يمتد نظره ما وراء حياته الأرضية ،أو بعيدا عن حقيقته،إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته و تتفاعل معها[2].

فالقاعدة التربوية عند مالك بن نبي تعتمد تطبيق المبدأ القرآني الذي يتبنى التغيير عبر التاريخ البشري،فالدين هو "التغيير التاريخي و الإجتماعي للتجارب المتكرر خلال القرون،و هو يعد في منطق الطبيعة أساس التغييرات الإنسانية الكبرى[3].

---

[1] ــ مالك بن نبي:الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،دار الفكر ،الجزائر،ط3، 1988،ص 51.
[2] – عمر كمال مسقاوي:نظرة في الفكر الإسلامي و فكر مالك بن نبي،ص 63.
[3] – مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 154ــ 155.

كما أن هذا المبدأ له أثر كبير في تفجير الحدود العقلية و توجيه الطاقات.

2ـــ مصداقية القول و العمل:

لا شك أنه إذا"إنعدمت العلاقة بين الكلام و العمل أصبح الكلام هدرا"[1].

يقول تعالى *يا أيها الذين آمنو لم تقولون مالاتفعلون *كبر مقتا عند الله إن تقولوا مالاتفعلون *(الصف _1_3)

الكلام عند ابن نبي قدسية حينما ينبئ عن عمل و نشاط لاعن مجرد وصف للألفاظ[2] ، وفي هذا دعوة الى تدعيم مناهج التربية بخيرات علمية ، تمكن الفرد من أن يصوغ مواهبه ، ومعارفه في الميدان العلمي ، بعيدا عن أساليب الإلقاء التي لا طائل منها[3]

وبهذا يدعو مالك بن نبي رجال العلم الى أن يكونوا على المناهج التي تمكن المجتمع من استخدام مواهب في تحقيق مآربه .

المبحث الثاني:النظرية الإجتماعية الحضارية.

تهدف هذه النظرية إلى تمكين النفس الإنسانية من تغيير وضعها الألوف إلى وضع أحسن، وتحقق هذا وفق قواعد بيداغوجية كثيرة نذكر منها.

أـــ محاولة ربط الصلة بين الأفراد:

فالأخلاق هي "أولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة"[4]

---

[1] ـــ مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،ص 63.
[2] مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص 183ـــ 196.
[3] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 96ـــ 75.
[4] –المرجع السابق، ص 63.

ومع هذا أن التربية الإجتماعية من أهدافها ربط الصلة بين الأفراد و التأليف بين قلوب الناس،و أن هذا التأليف شرط أساسي لأي إشعاع ثقافي.

فالفرد المنعزل لا يمكن له أن يستقبل ثقافة ما،ولا يمكن له أن يرسل إشعاعها،وفي كل تبقى"الأخلاق هي التركيب التربوي لكل العناصر،و لذلك كانت فصلا جوهريا من فصول الثقافة،فتصوره على أنه تاريخ،بل على أنه مشروع تاريخي"[1]

ب ــ القيام بالواجب:

تنادي هذه الطريقة بوجوب تعليم الإنسان كيف يقوم بواجباته عوض المطالبة بحقوقه،بمعنى:أن لا تعزف التربية على وتر الحقوق على حساب الواجبات،و عليه يكون أصحاب الميدان التربوي من المجدين و المجتهدين و المبدعين الذين يقومون بواجباتهم أكثر من المطالبة بحقوقهم[2].

ج ــ الإنسان في فكر مالك بن نبي:الإنسان عند إبن نبي يتدرج في عوالم ثلاثة،هي عالم الأشياء،عالم الأشخاص عالم الأفكار ،و هو لا يمكن له أن يعيش بمعزل عن هذه العوالم الثلاثة، وإذا عاش بمعزل عنها أصبح أمر إعادة تكييفه مع الحياة الاجتماعية بعيدا الاحتمال بل و مستحيل فالإطار البيولوجي،و العقلي الذي ينمو فيه الإنسان جاء عنده حسب الأطوار الثلاثة كما يلي:

1ــ الطور الذي يكتشف فيه تلقائيا عالم الأشياء.

2ــ الطور الذي يكتشف فيه تدريجيا عالم الأشخاص.

---

[1] ــ المرجع السابق، ص 64.

[2] ــ مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 90ــ 107.

3ـــ العمر الذي يكتشف فيه عالم الأشياء.

هنا نقول إن علاقة الزمن بالمكان و الأشخاص و محركو هذه المعادلة.

المبحث الثالث :النظري المعيارية الحضارية :

المقصود بالمعيارية ذلك الأسلوب الفكري المعتمد على مجموعة من العوامل كاللغة والثقافة والدين التي لها تأثير على حياة الفرد في المجتمع فحياة الفرد قبل أن تكون منوطة بذاته الخاصة ،وهو هبته الشخصية" هي منوطة أولا وقبل كل شيء بصلته بمجتمع معين "[1] ومن ثم كلما كان تخلف المجتمع كبيرا كلما ارتفعت الجزية التي يدفعها الفرد مهما كان وضعه الأخلاقي والعقلي "[2] هذا على مستوى الحظوظ العقلية ،أما على مستوى الحظوظ الخلق والإبداع ،فلا بد من التحام المبادئ بالوسائل .فإذا تكاثفت المبادئ مع الوسائل والحاجات .كان هناك خلق وإبداع .فالمنهجية التي تعتمد مبدأ الحاجة لا يمكن أن تلد من الناس أفرادا مبدعين ،ومن هنا ،فالإطار المعياري بشقيه المادي والمعنوي هو أمر ضروري لتربية نتوخى من ورائها تخريج أفراد فاعلين في المجتمع .[3]

وعلى هذا الأساس فالرؤية المعمارية تلتزم وضوحا في الهدف من موجهين في إعدادهم للمنظومة الحضارية .

[1] ـــ المرجع السابق،ص 76.
[2] ـــ د أسعد السمحراني:مالك بن نبي مفكر إصلاحيا،ص 229.
[3] ـــ المرجع نفسه،ص 229.

أ) الحظوظ الأخلاقية والجمالية للقاعدة الحضارية (التربوية)

هناك حظوظ أخلاقية وأخرى جمالية فنية يجب أن ترتكز عليها البنية الحضارية دون أن يكون أحدهما قائما على حساب الأخر .

إذ يجب توجيه الجانب الجمالي في تربية الانسان[1].

وتعد المدرسة في منظور ابن نبي المجال الذي تحفر فيه الأهداف الحضارية "وما كان هدي محمد صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إلا مدرسة بلغت الى العالم رسالة حضارة جديدة "[2]

فالمدرسة الحقة تستمد مصادر إلهامها من أصول الفكر الإسلامي "فالتربية تستلزم وضوحا في الهدف من المدرسة والكتاب والبرامج وإعداد المعلم وكل ما يتعلق بها .وهي عملية مخططة مستمرة .وفق برامج تنفذ في مدة زمنية محددة تتجاوز حدود المدرسة الى المجتمع حتى يكون لها دور في نهوض المجتمع وتقدمه في تذليل كل الصعوبات التي تعترض مسيرة البناء .والصنع للتاريخ الجديد "[3]

فمالك بن نبي بهذا الوقفة .يحاول إظهار حقيقة التربية من مستوى الفكر الديني.

[1] ــ مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 104.

[2] ـــ مالك بن نبي:بين الرشاد و التيه،دار الفكر،دمشق،ط1، 1978،ص 78.

[3] ــ أسعد السمحراني:مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا،ص 229.

ب) الجوانب النظرية للقاعدة الحضارية (التربوية)

الجانب النظري التربوي عند مالك بن نبي لا يتعمد إلا أن يخضعه لسلسلة من العمليات العقلية والتي تبدأ بأول خطوة متمثلة في الشعور بصعوبة تطبيق الحل المقترح وموازنته بحلول أخرى .اقترحت لنفس الأشكال .ومصداقية كل واحد منهما في الزمان والمكان

وجوانب الحل النظري عنده الكثيرة منها ،الجانب العلمي ،الذي يخضع لسلسة من العمليات العقلية كما أشرنا_سابقا_ والجانب الأخلاقي ،وهو من الجوانب التي ميزت أعمال مالك بن نبي بالجدة ،فالقضايا التي تناولها لا تخرج عن إطارها الأخلاقي المرسوم لها ،وجاءت النظرية التربوية عنده مشحونة بقيم معنوية تضفي على النظرية نوعا من القدسية لأنها تهدف الى إبراز قيمة الانسان كإنسان واحترامه قيمة اجتماعية.

وهناك الجانب التاريخي ،إذ ليس كل ما صلح لزمن ما يكون صالحا لهذا الزمان ،فلكل زمان ظروفه الخاصة .

وعلى العموم فان التجربة التربوية الإنسانية عند مالك بن نبي تنتقد سياسة طغيان الشيء على الفكرة وتدعو الى الاهتمام بالبعد الحضاري في بناء العملية التربوية ،وهي دعوة تأخذ في الحساب الحالة الراهنة للأمة العربية والإسلامية . فالأساس التاريخي والعامل الحضاري للفرد المسلم مقومان جوهريان في تطوير المنظومة الحضارية للمجتمع الإنساني المسلم خاصة المجتمع الإنساني عامة [1].

[1] – مالك بن نبي:الظاهرة القرآنية،ترجمة عبد الصابور شاهين،دار الفكر،دمشق،ط4، 1987، ص 53.

وطبيعة برامج المنظومة الحضارية عند مالك بن نبي أنها وضعت على عدة أسس ،حيث تقرر على أساسها "ألا يكون مضمون البرنامج في تلقين معلومات قد لا يكفي الوقت لتلقينها بل في تكوين شخصية ذات أبعاد ربما تكونها ظفرة واحدة"

تتكون من خلالها الفكرة أو الشعور بالأناقة ،كما أنها توقظ الشعور والإحساس في نفس المتعلم فتغيرها تبعا لذلك أبعاده النفسية ،يقول بشأن هذه الفكرة "انني أعلم التلاميذ القراءة والكتابة بطبيعة الحال ،حتى يستطيعوا إمضاء اسمهم على الأقل في مكتب البريد ،أو في إدارة أعمالهم، ولكنني سأحاول جهدي قبل أي شيء أن أغير أبعادهم النفسية"[1] وعليه فالبناء الحضاري عنده يتوخى الأهداف التالية:

- أهداف توظيفية أي توظيف الانسان لما تعلمه من المدرسة في الواقع الذي يحيا فيه
- تغيير الأبعاد النفسية .وتفجير الحدود العقلية عند المتعلم
- تعريف الانسان بواقعه الحضاري .
- التوفيق بين التربية الأخلاقية والذوق الجمالي.

ومبدأ الأخلاق فيما سبقت الإشارة إليه قد يكون فكرة دينية مقدسة تألف بين أفراد المجتمع ، يتضامنون ويتوحدون حول تحقيق هذا الهدف[2].

[1] – مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص 87.

[2] ــ د شايف عكاشة:الصراع الحضاري في العالم الإسلامي،دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2، 1984،ص 24.

ويلخص مالك بن نبي أهداف منظومته الحضارية بقوله "ولكن للخريطة ميزة أخرى في التكوين ،فاذا كان الحساب ينبه العقل الى الكم.

فان مادة الجغرافيا تنبه العقل الى المواضيع من حيث كيفياتها أي الى الاختلاف الى الأصل بين الأجناس والرقعات الحضارية

كما أنها تعطي ثقافة عن الانعكاسات العبقرية على سطح الأرض"[1] ولا شك أي أن ما سمح لمنظومة ابن نبي الحضارية من التميز والانفراد في الفكر الديني والتربوي ،تميز مصدرها (القرآن والسنة)وتميز طبيعتها[2].

إذ أنها تكيف الإنساني تلقائيا مع الواقع الحضاري الذي يعيش فيه .

المبحث الرابع "دور المسلم في الإصلاح والتجديد الحضاري.

الدين هو أصل معادلة التغيير كلها ولا يمكننا أن نتصور أية حركة دون دافع عقائدي ،ولاسيما في مجال الإصلاح والتجديد ،والذي يستدعي طاقة قوية ومتينة تناسب حجم هذه المعادلة .

ومن أجل ضمان شروط الأقارع ينبغي أن تكون هيمنة الجانب الروحي أو العقائدي واضحة ومبنية على قاعدة أساسية ،ويؤكد مالك على ضرورة تجاوز الاختلال الحاصل في معادلة التوازن الروحي والمادي ،ومن ثم ضرورة استغلال العناصر الروحية في تكوين الانسان المسلم لتحقيق

[1] – مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص 417.

[2] ــ أسعد السمحراني:مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، ص 112

الفعالية المطلوبة ولا شك أن الطاقة في بعض الأحيان وان الدين إذا ضعف في نفوس أصحابه ،فقد الانسان جانبه الروحي والتصق بالأرض وما عليها وما عليها التصاقا يعطل ملكات عقله . ويطلق غرائزه الدنيوية من عقالها لتعيده الى مستوى الحياة البدائية[1].

فالإسلام دين وتحضر وفهمه بشكل خاطئ يؤدي الى البعد عنه ومن ابتعد عن دينه انكسر واندثر. واذا ما غابت الفكرة عن المجتمع حل محلها شرك وعبادة أوثان تعيد استعباد الانسان لغير الله .

والمسلم الحقيقي الصادق الإيمان الغيور على الإسلام ،المشفق على حال أمته ،التواق إلى الإصلاح والتجديد يثور على هذا الواقع المر فيتخلص من كل المعتقدات التي تسيء الى الإسلام ،بدءا يتغير أسس السلوك فيه والتي ورثها عن عهود مظلمة ،وهذه القاعدة يرى مالك بن نبي صورتها من مطلع شبابه في الجزائر،فإن كان من سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم ...وهكذا كان شأن الجزائر فانها كانت حتى عام 1925 على الرغم من إسلامها تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا .وهناك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات واقتناء الحروز .ذات الخوارق والمعجزات ،فيرى أنه ما أن سطح نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد ،فخمدت نيران أهل الفتنة ،وزادت عن البلاد الدراويش ،وهنا تظهر لنا مشكلة الالتزام الغير السليم حيث أن العديد من الناس فهم مجرد طقوس ودروشة ،فحاذوا بهدفه وغايته الأساس عن جادة الصواب .

[1] ــ مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 54.

علما أن الإسلام هو دين العدل التوسط لكل شيء ،ولا يتطلب هجرالدين والقبوع في الزوايا ،ولا يطلب الإسلام من الانسان واسطة تربطه بالله عز وجل.[1]

فالإسلام عند مالك بن نبي هو الثروة الخالدة في يد المسلم في كل الظروف وفي جميع المراحل التي يمر بها في حياته ،فما دامت هذه الثروة موجودة فان المسلم يظل مالكا للقوة الحقيقية للنهوض الحضاري فلو وعى المسلم حقيقة الإسلام لأدرك مقدار ما يملكه من قوة فكرية وروحية وإرادية وأخلاقية.

هي مصدر وأم بقية الثروات الأخرى ،وفي ذلك يقول :"الدين وحده هو الذي يمنح الانسان هذه القوة ،فقد أمد بها أولئك الحفاة العراة من بدو الصحراء الذين اتبعوا هدى محمد صلى الله عليه وسلم وبهذه القوة وحدها يشعر المسلم بثروته الخالدة التي لا يدري من أمر استخدامها شيئا "[2]ولا يفوت مالك بن نبي هنا وهو يؤكد على الدور الحيوي والاستراتيجي للإسلام في نهضة الأمة وفي فعالية أدائها الحضاري أن ينبه الى قضية أساسية وهي أي إسلام بإمكانه أن يؤدي هذا الدور الخطير في حركة النهضة والبناء الحضاري؟

وفي هذا يقول أن روح الإسلام هي التي خلقت من عناصر متفرقة والمهاجرين أول مجتمع إسلامي حيث أن قوة التماسك لهذا المجتمع موجودة بكل وضوح في الإسلام .[3] وهنا ينتقل مالك بن نبي

---

[1] ــ المرجع السابق،ص 54.

[2] ــ مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 66.

[3] ــ المرجع نفسه،ص 96.

لبعيد الفاعلية للقيم الإسلامية في حياتنا المعاصرة وذلك ليؤكد على قضية جوهرية جدا في عملية الإصلاح والتجديد وهي كيف ندمج هذه القيم فعاليتها الاجتماعية الفعالة في ذاتها ؟.

وفي هذا تأكيد على هذا المعنى حيث يقول :لا يكفي أن نعلن عن قدسية القيم الإسلامية بل علينا أن تزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح العصر وليس المقصود أن نقدم تنازلات الى الدنيوي على حساب المقدس ولكن أن تحرر هذا الأخير من بعض الغرور الاكتفائي والذي يقضى عليه.

وبكلمة واحدة ينبغي العودة ببساطة الى روح الإسلام نفسها و لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة واحدة تمر دون أن يحذرنا من مثل هذا التمسك والاكتفاء الذي نعرف اليوم آثاره . المعوقة للنمو الاقتصادي للمجتمع الإسلامي الحالي .

ففعالية إدماج القيم الإسلامية في حركة تجديد المجتمع والأمة تحتاج الى مرونة مقاصدية منضبطة .لا تفرط في ثوابت الدين أو المقدس كما سماه مالك بن نبي ولكنها في الوقت نفسه لا تزهد في استثمار المرونة الواسعة التي تتميز بها منهجية الشريعة عبرا نظمتها الفكرية والمنهجية الكثيرة الموضوعة لمواجهة كل الظروف التي يمكن أن يمر بها الفرد أو المجتمع والأمة [1]"

والخلاصة هنا أن مالك بن نبي يعطي الإسلام مكانة محورية بارزة في المشروع الثقافي الذي يراه شرطا سنني للتغيير والتجديد الحضاري ولكنه يؤكد كثيرا على التعاطي السنني المنهجي المقاصدي المنضبط مع معطيات الإسلام في كلياته وثوابته ،والتفريق الصارم بين الفقه التاريخي في نسبيته وجزئيته وعرفيته وزمانيته ومتغيراته وبين الفقه السنني في ثباته وكليته واطرادية وتجدد فعاليته على

[1] ــ طيب برغوث:محورية البعد الثقافي في إستراتجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،دار قرطبة للنشر و التوزيع،ط2، 2004،ص 55ــ 56.

الدوام [1] كل ماهو ذا طابع .فهو قانون واجب الاستصحاب كشأن كل القوانين الكونية المبثوثة في عوالم الأفاق وعوالم الأنفس .وعالم الهداية ،وعالم التأييد التي يستمد منها البشر وسائل شروط أصالة وفعالية أدائهم الاجتماعي والحضاري بشكل مستمر ولا غنى لهم عنه.

[1] ــ مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي،ص 86.

خاتمة

الخاتمة:

بعد هذا الطواف في رحاب هذا البحث والتجوال في ثنايا هذا البحر الخضم عبر محطات فصوله ربما نكون قد نقلنا بعض ما قيل حول الموضوع وربما نكون قد أسهلنا في الكشف عن الحقيقة من غير تطلع الفضل.

وبعد هذا الجولة السريعة في رؤية مالك ابن نبي للفكر الحضاري نود أن نؤكد على الملاحظات وبالنتائج التي يمكن أن نستخلصها من هذا البحث.

1- أساس الحضارة بالدرجة الأولى هو العامل الديني لإبقاء واستمرا الحضارة بدونه.
2- مصدر فكر مالك بن نبي هو فكر إسلامي.
3- إن التاريخ ندخله بالأفكار لا الأشياء، فالإنسان في فكره سيشكل عنصرا بنياويا في تجاوز حالة التخلف.
4- إن الارتقاء بالسلوك الإنساني هو الهدف المحوري في عملية التفكير.
5- إن الأفكار تؤثر في المجتمع إما كعوامل النهوض وإما كعوامل تعميق التحرك والنمو الاجتماعي.
6- غنى المجتمع لا يقاس بكمية الأشياء بل بقدر ما فيه من أفكار.
7- يؤكد مالك بن نبي على أن جوهر البناء الحضاري ينطلق من الفكر ، لذا فالحضارة هي التي تلد منتجاتها ولا يمكن بناء حضارة بشراء منتجات حضارة أخرى.
8- خلافة الإنسان في الأرض في فكر مالك بن نبي هي مسؤولية عظيمة عدها أمانة يجب الاعتناء بها.
9- البعد الحضاري الذي تبنته نظرية ابن نبي يدعو الفرد المسلم إلى الاقتناع بالدور المنوط به حتى يملأ الفراغ الروحي الذي بانت تتعطش إليه نفسية الفرد المسلم.
10- للفكرة الدينية اثر كبير في بحث النشاط وحشدا لهم وتوجيه الأعمال.

ليس لنا في نهاية هذا البحث إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدونا على إنجاز هذا البحث بدءا من أ.د.أحمد دكار الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر و المراجع

1-أبي الفضل محمد ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت 1978.

2- أحمد شلبي، الفكر الإسلامي منابعه وأثاره، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2 1986.

3- أحمد رضا، متن اللغة، موضوعة لغوية حديثة، مج2 بيروت، 1988.

4-د.أحمد دكار، تيارات فكرية كنوز الإنتاج، ط1، د.ت.

5-أحمد السمحراني، مؤالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986.

6- ابراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، اللغة العربية للإدارة العامة للمجتمعات وإحياء التراث ،دار الدعوة، اسطنبول 1980.

7- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1969 .

8-آمنة تنشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي.

9-د.الترابي، قضايا الفكر معهد البحوث والدراسات الاجتماعية ط1، 1995.

10- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1973.

11- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة احمد حسن عبد الرحيم، دار الحياة، بيروت، ط1، د ت.

12- حسن رمضان فحلة مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، دار الهدى عين مسيلة الجزائر.

13- حسن مؤنس، حضارة عالم المعرفة، ط2، 1998/09 العدد، 237.

14- سليمان الخطيب، أسس الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت.

15- السيد محمد عقيل مدحل الى دراسة الفكر الإسلامي، دار الحديث، القاهرة ط1، 2004.

16- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.

17- شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1984.

18- د.شوكت محمد العليان، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، دار الشروق، الرياض، ط1، 1996.

19- طارق البشري، ملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر رؤية مستقبلية مكتبة مدبولي، ط1، 1989.

20- طه جابر فياض، أدب الاختلاف في الإسلام، كتاب المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1981م.

21- طيب برغوت محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك ابن نبي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط2، 2004م.

22- الطيب بن ابراهيم، مالك ابن نبي وابن خلدون، موافق مشتركة، دار مدني، ط1، 2000م.

23- عبد الحكيم السلوم، التفكير وحل المشكلات النبأ، العدد شوال 1421، كنون الثاني 2001.

24- عبد الحليم محمد، مع العقيدة والحركة والمنهج في خير أمة أخرجت للناس، مطابع جامعة محمد بن مسعود الإسلامي، الرياض، ط1، 1978.

25- علي مؤمن الإسلام والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الروضة، بيروت، ط1، 2000.

26- عمر كمال مسقاوي، نظرة في الفكر الإسلامي وفكر مالك بن نبي، دار الفكر، ط3، د ت.

27- مالك بن نبي، أفاق جزائرية، ترجمة طيب الشريف مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1964.

28- مالك بن نبي بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، ط1، 1978.

29- مالك بن نبي، تأملات دار الفكر دمشق، ط1، 1971.

30- مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 1969.

31- مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر الجزائر، ط3، 1988م.

32- مالك بن نبي فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، ط3، 2001.

33- مالك بن نبي، فكرةكمنويلث إسلامي ترجمة طيب شريف، دار الفكر الجزائري، ط2، 1990.

34- مالك ابن نبي في مهب المعركة دار الفكر، دمشق، ط3، 1981.

35- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر دمشق، ط1، 1991.

36- مالك بن نبي،الظاهرة القرآنية،ترجمة عبد الصابور شاهين،دار الفكر ،دمشق،ط4،1987

37- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل) دار الفكر دمشق، ط1، 1969.

38- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الحكمة، تونس ط1، 1985.

39- مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، ط4، 1984.

40- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار رالفكر دمشق، ط1، 1962.

41- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا ط2، 1970.

42- مالك بن نبي الفقه الحضاري، مجلة قسنطينة، جويلية 2006.

43- مجد الدين بن يعقوب، قاموس المحيط ج1، دار طيل، بيروت، دت، دط،.

44- محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي هيرفدن فرجينيا، الويات المتحدة الأمريكية، ط1، 1996.

45- محمد بشير، الإسلام وصراع الحضارات في القرن الخامس عشر مجلة الأحياء، العدد 8، شهر 5 2004.

46- محمد الخالدي، التفكير بداية الطرق إلى النهضة، شركة الشهاب، الجزائر، ط3، 1989م.

47- محمد سعيد رمضان البوطي، هكذا فلندع إلى الإسلام، مكتبة الفرابي، دمشق د ت ، د ط.

48- محمد سعيد البوطي من المسؤول عن تخلف المسلمين، مكتبة الفرابي، دمشق، د ت، دط .

49- محمد الصادق العفيفي، الفكر الإسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة دت، د ط.

50- محمد عبد المنعم خفاجي، الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982.

51- محمد مرتض الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج3 منشورات، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1978، د ط.

52- محمد عمارة، أزمة النص الإسلامي، بين الاجتهاد والجمود التاريخية، دار الفكر، سوريا، ط1، 1998.

53- محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي، دار الفكر دمشق، ط1، 1998.

54- يوسف حسين، نقد مالك ابن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، دار التنوير، ط1، 2004م.

الفهرس

	الصفحة
مقدمة	أ
الإهداء	
شكر وعرفان	
مدخل	01
1/ الفصل الأول: الفكر الإسلامي	
المبحث الأول: مدخل إلى الفكر الإسلامي	15
المبحث الثاني: تعريف الفكر الإسلامي	17
المبحث الثالث: خصائصه	23
المبحث الرابع: تحديات الفكر الإسلامي	31
2/ الفصل الثاني: دور الفكرة الدينية في بناء الحضارة عند ملك بن نبي	
المبحث الأول: مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا	35
المبحث الثاني: الدورة الحضارية وأطوارها	41
المبحث الثالث: البناء الحضاري	47
المبحث الرابع:عناصرها	51
المبحث الخامس:دور الفكرة الدينية في بناء الحضارة	59

3/ الفصل الثالث: الإصلاح الديني الحضاري والحلول النظرية عند ملك بن نبي

المبحث الأول: النظرية النفسية الحضارية 66

المبحث الثاني: النظرية الاجتماعية الحضارية 71

المبحث الثالث: النظرية المعيارية الحضارية 73

المبحث الرابع: دور المسلم في الإصلاح والتجديد الحضاري 77

الخاتمة 82

قائمة ؤالمصادر والمراجع 84

الفهرس 85